بابا الفاتيكان.. وحديث الساعة

عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت: 2257882

الطبعة الأولى
2006م - 1427هـ

ليس الإرهاب عربيا

تؤكد القاعدة الإسلامية المؤيدة بنص قرآني بأنه من آمن أمن ومن أسلم سلم، ومن نفذ شروط الأمن والسلامة المحمدية له السلام والأمان حيث جاء قوله سبحانه وتعالى:{**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [الأنفال6].

وقوله عز جلاله:{**إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**} [النساء 90].

ومن لم يعرف الإسلام وفضائله نسوق إليه ما قاله جعفر بن أبي طالب بين يدي النجاشي في زمن الهجرة إلى الحبشة، فقد ورد في سيرة ابن هشام أن جعفرا قال:

" أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا".

هذه واحدة من رسائل الضوء المبين، تلقي بأنوارها على حياة العرب في الجاهلية، وأوضاعهم بعد ذيوع دعوة الإسلام، وهى إلى جانب ذلك رسالة كاشفة لم تفح منها أى رائحة تشير بأن المسلمين من دعاة الظلام والعنف والإرهاب، ولم يجل في خاطرهم يوما أنهم يميلون إلى العنف والإرهاب، وأن الإرهاب الذي انتشر في الوقت الراهن له جذوره القديمة، وأنه إذا كان نما وتفشى فليس على يد أحد من المسلمين.

وللحقيقة يمكن لمن ليس في قلبه مرض أن يصل إلى مصادر الإرهاب من خلال سرديات الغرب وأدبياته السياسية، ولسوف يكتشف للوهلة الأولى أن الإرهاب ليس عربي النشأة والولادة، وأن العنف الذي يمارس ضد شعوبنا العربية يحمل على كاهله تاريخ الغرب الصليبي والصهيونية العالمية، وأنه ليس من مظاهر هذا الزمن، بل إن عمره يمتد إلى عصر المسيحية الأول.

يتجلى ذلك الإرهاب بوضوح معلنا عن نشأة السادية في حادثة إحراق اليهود للمسيحيين اليمنيين حيث حفروا لهم أخدودا في الأرض بعد أن ثبت لهم أنهم يدينون بالمسيحية.

وقد وردت هذه الحادثة في قول الله سبحانه وتعالى:**{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَاقُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** [البروج 4 - 8].

ومن المؤكد لذوى العقول أن هذه المحرقة التى صنعها أحد اليهود قديما أخذ عنها الألمان - حديثا - ما يسمى بالمحرقة أو الهوكولوست، وكان الدافع دينيا، دين يريد أن ينحر ديناً، فإيمان النصارى بالله العزيز الحميد، دفع ذلك اليهودي لصنع أول محرقة للبشرية في التاريخ.

"قال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ، بأربعين سنة، أخذهم يوسف شراحيل بن تبع الحميري (يهودي)وكانوا نيفا وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدودا وأحرقهم فيه [(1)] .

ومع الفارق في التسامح والمودة التي يشيعها الإسلام بين كل من اتصل بهم من أمم وأجناس، يقول كاتب مسيحي في شهادته:

"إن من بقي من هؤلاء النصارى موزعين إلى طوائفهم المعروفة بتسمياتها المختلفة - إنما هم شهود عدل عبر التاريخ - ليس على سماحة الإسلام وهو تعبير لا يفي الواقع، لأن وجودهم أهل ذمة في الماضي، إنما كان مبنيا على قاعدة شرعية،وليس على شعور من طبيعته أن يتضاعف أو يضعف وإنما على إنسانية هذا الدين العربي الذي جاء في القرآن، وهو الدين الذي أقر لغير المسلمين، ليس فقط بحقوقهم الفردية والجماعيه الكاملة، بل وأيضا بالمواطنة الشاملة في عصرنا الحاضر [(2)].

ومن عرف الإسلام آمن بدعوته، فالإسلام كلمة تحمل مدلولات السلام والسلم، والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه، ومن أسماء الله الحسنى "السلام".

ويلاحظ أن العنف الذي كان يوجه ضد النصارى في مرحلة ما من قبل اليهود، عاد على أيدي النصارى أنفسهم، ليعطينا فكرة عن الإرهاب الديني الذي مورس في صحن الحرم الكنسي ضد كل صاحب مفهوم عقدي آخر.

"وقد حصلت أمور أخرى أكثر بشاعة (1204م) عند الاستيلاء على القسطنطينية خلال الحملة الصليبية الرابعة، كان الصليبيون متجهين نحو مصر لكنهم اتبعوا نصيحة الكسوس بن إسحق أنجلوس إمبراطور بيزنطة المخلوع،

---

1 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 19 بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ ص 289.

2 - د. أدمون رباط. المسيحيون في الشرق قبل الإسلام، المحرر إلياس خوري، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية ط1 سنة 1981 ص.28.

وقصدوا القسطنطينية من أجل إعادته إلى العرش مع أبيه، لم يوفق هذا التدخل الغربي في شؤون السياسة البيزنطية، وفى نهاية الأمر ضاق الصليبيون ذرعا بما أسموه خداع اليونانيين، وعملوا في المدينة السلب، ولم يكن الشرق المسيحي لينسى قط أيام السلب الثلاثة الرهيبة هذه.

قال فيستاس محتجا على هذه الأحداث: "حتى البربر رحيمون وطيبون إذا ما قيسوا بهؤلاء الرجال الحاملين صليب المسيح على اكتافهم. "[1]

وكما ظهرت هذه القوى الارهابية المتصارعة في اليهود ظهرت كذلك في المسيحية، إزاء هذه القوى لابد من وقفة للتفريق بين هاتين الديانتين وبين الدين الإسلامي في دعوته للعالمية أو للإنسانية.

لم تسوِ هاتان الديانتان بين من تتجه اليهم بدعوتها، بل كانت عند ما تتأرجح مثلها، تدعو الناس إلى عبادة إله في السماء وامتثال وخضوع لكاهن، فكانت دعوة السماء في خدمة سيادةالتناقض في الأرض، وهذه إحدى مظاهر الإفلاس الديني قبل الإسلام، وهى تعد من التداعيات والتراكمات الاجتماعية التى تفتقت عن عصر الإرهاب الديني.

من جانبنا سنتجاوز ما لقيه المسلمون على أيدي نصارى الأندلس من قتل وسحل وحرق وتمثيل بالجثث لننظر في مصطلح الإرهاب فوجدناه يشكل ظاهرة اجتماعية عمادها اللجوء إلى العنف، ويمكن تعريفه بأنه:

"استعمال قوة كبيرة أو مدمرة ضد الناس أو الأشياء، استعمال قوة مما ينتهك قاعدة من قواعد السلوك، وفي غاية الوضوح أن هذا القول لا يعني أن نفترض مسبقا للرأي النهائي، أن فعلا من أفعال العنف يجب أن يكون خاطئا

1 - ثيموثي وير، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، بيروت، منشورات النور سنة 1982 ص.84

بالضرورة[1].

تضاربت الأقوال في العصر الراهن حول هذه الظاهرة العالمية، وقد بات من المؤكد أن جميعها لم تقطع بتعريف محدد:

"ورغم كل هذه المحاولات الجادة لدراسة الإرهاب الدولي فإن تعريفه لم يتحدد قانونيا حتى اليوم، وما يزال مجرد شعار سياسي يطرح عشوائيا، ولكى يصبح الإرهاب الدولي جريمة في نظر القانون الدولي، يجب أن يكون له تعريف واضح ومقبول دوليا وأن تتحد هيئة دولية معينة بمحاكمة الدول والجماعات التي تقوم بأفعال الإرهاب، وهذا لم يقم بعد [2] .

غير أن ذلك لم يمنع من وجود وجوه عديدة له الشائع منها تخريب المنشآت الحيوية، تدمير البنى التحتية، القضاء على حياة أناس تراق دماؤهم بلا سبب سوى أن قدرهم دفعهم إلى محيط بعض العمليات الإجرامية أثناء القيام بتنفيذها.

ومن مظاهر ذلك - أيضا - ما يتعرض له المسلمون من أذى على أيدي الأمريكان وهو عدوان صارخ على الشعب العربي في فلسطين والعراق وأفغانستان ولذلك تصنع أمريكا أذنا من طين وأخرى من عجين ولا تستجيب للنداءات الدولية الملحة على عقد مؤتمر دولي يعالج مشكلة الإرهاب ويصدر فيها قانونا قاطعا يلزم الحكومات، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية وربيبتها إسرائيل كانت ولا تزال تحول دون قيام هذا المؤتمر.

لماذا؟

2 - تيد، هندريش، العنف السياسي، ترجمة عبد الكريم محفوظ وعيسى طنوس، لا بلد نشر، ط1 سنة 1986 ص141.

1 - د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، بيروت، دار النفائس، ط1 سنة 1992 ص 46.

لأن طرح موضوع الإرهاب على بساط البحث سيتطرق بالتبعية إلى وسائل النضال والمقاومة المشروعة من أجل تحرير الأوطان، وهذه النقطة بالذات ترى أمريكا أن من مصلحتها ومصلحة إسرائيل ألا يتصدى لهما أحد بالمناقشة حتى يمكنهما القضاء على الشعوب التى تناضل وتقاوم من أجل نيل حقوقها المشروعة في الاستقلال والحرية.

وبداية فإن القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان تطلق العنان لقوات المارينز وقوات التحالف من أجل القضاء على المقاومة الإسلامية، وإيقاع الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، والعمل لإظهار المقاومة في شكل دموي وإجرامي، وعدم التخفيف من تنفيذ المجازر في(بعقوبة) والمدن السنية، (الفلوجة، الأنبار، تلعفر، سمراء، الفاتح).

ومع أن الخسائر التي وقعت في صفوف القوات الأمريكية قد بلغت في العامين الأوليين من احتلال العراق ما يزيد على (2000) جندي يضاف إليهم الآلاف من الجرحى، وأن تكاليف المعارك وإدارة شؤون الحرب بلغت أكثر من (300) مليار دولار خلال عامين، أما بريطانيا فقد أنفقت على الحرب في العراق ما يزيد على 3.5 مليار جنيه إسترليني.

ولو كانت أمريكا صادقة حقا عندما اتجهت إلى العراق لإسقاط الديكتاتورية وإشاعة الديمقراطية لعجلت بانسحاب قواتها بعد سقوط النظام البعثي.

لكن لا تزال على أجندة البنتاجون مخططات ترمي إلى اجتياح بلدان عربية وإسلامية تحت أوهام ما تطلق عليه محاربة الإرهاب والقضاء عليه.

وإذا كان في استطاعة العقل الإنساني أن يسوغ استخدام العنف من أجل تحقيق هدف يرى فيه الكمال، فمن الذي يستطيع أن يجزم بعد ذلك بأن قيمة هذا الهدف تساوي حجم الجرائم التي ارتكبت في حق البشرية؟

* * *

لا علاقة لحركة التاريخ بالرسالة الإسلامية

ذكر بيير دابي في "مجموعة الأسفار والاكتشافات(مدريد 1825)" والمسيو سيديو في كتابه "تاريخ العرب (باريس 1854م.)".

"كان العرب وحدهم ممثلي الحضارة في القرون الوسطى ودحروا توحش أوربا التى زلزلتها غارات الشمال"

والسؤال:

من الذي استفاد من تلك العلاقات سلفا ولا حقا؟.

قد تطمس معالم الحقيقة في بعض الأحيان، وقد تأخذ ظاهرة الاختلاف بين العلماء صبغة من ألوان الاجتهاد للوصول إلى رصد الحقيقة، ولكن ما لا خلاف فيه أن الأمال التي حفزت المسلمين للخروج من مهد الجزيرة العربية للإنتشار على أرض فارس والهند والروم هى التي أعطت للجهاد الإسلامي زخما وعمقا انسانيا رفيعا أسفر عن تكوين هلال يمتد قرناه في أوربا من الشرق والغرب، وأطل على الأطلسي، ثم امتد في قلب آسيا وجزائرها الشرقية، وفي قلب افريقيا وغربها، ليحقق الإسلام أول مدنية عالمية.

بلا سيوف.. بلا دماء، ولا خراب شامل، غمرت النهضة العالمية جميع البلدان التى دخلها المسلمون وفجت الأنوار من الاندلس على أوربا خلال العصور الوسطية حيث كانت فيها أوربا أسيرة التخلف دون أن تتخلى الأندلس عن الدين وعن شخصيتها العربية المستقلة.

ولن نأت بشاهد من عندنا ليتكلم عن المسلمين بخير، اذ لا يزال في بلاد الغرب اصحاب اقلام صدق نذكر منهم ما كتبه (ميشون) في "تاريخ الحروب الصليبية":

"منع محمد قواده من قتال الرهبان لأنهم رجال صلاة ولما استولى عمر على القدس لم يمس النصارى بسوء، وبالمقابل لما صار الصليبيون سادة هذه المدينة ذبحوا المسلمين بلا رحمة وحرقوا اليهود"

ويذكر ميشون في كتابه "رحلة إلى الشرق":

"إنه من المحزن لدى الأمم النصرانية ألا يكونوا قد تعلموا من المسلمين التسامح الديني الذي هو دستور الاحسان من شعب إلى شعب"

ويقول جوستاف ليبون في "حضارة الغرب"

"لم تكن القوة عاملا في انتشار القرآن قطعا، فقد ترك العربُ المغلوبين أحراراً في المحافظة على دينهم، وإذا حدث أن اعتنقت الشعوب النصرانية دين غالبيتهم فذاك لأن الفاتحين الجدد بدوا أكثر عدلا نحوها مما كان عليه سادتها السابقون، ولان دين هؤلاء الفاتحين كان من البساطة مالم تعرفه الشعوب النصرانية حتى ذلك الحين، ولم يفرض القرآن بالقوة بل بالإقتناع، وبلغ من انتشار القرآن في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل، في الحقيقة أن زاد عدد اتباعه فيهااليوم على خمسين مليونا (كان ذلك عام 1884م)".

ويضيف غوستاف ليبون:

"ويرتفع عدد هؤلاء يوما بعد يوم، ومع أن الانجليز الذين هم سادة الهند الحقيقيون في الوقت الحاضر يجهزون فيها جيشا حقيقيا لتنصير المسلمين، فلا يوجد مثال واحد ثابت كللت فيه جهودهم بالنجاح".

لماذا؟

لأن الإسلام نشر قاعدة العدل بين الأفراد والأمم:**{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءوَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل90] ونهى القرآن هن محاورة أهل الديانات الأخرى الا بالتي

هى أحسن:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ له مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46].

يحترم الإسلام عقائد الآخرين:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُمِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة256]،{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: 6].

وقد بشر الدين الإسلامي بالمبادئ الأخلاقية والأسس الكريمة التي تكفل إقامة نظام عالمي جديد، قائما على الأخوة الانسانية وعلى التآلف أساسا للتعايش بين مختلف الأجناس.. قال تعالى{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

وبما أن الإسلام دين التكافل فانه لا يلزمك أن تكف الأذى عن الغير فقط، بل يلزمك شرعا أن تكف عنه أذى غيرك وأن تسعفه بكل ما في وسعك لانقاذ حياته والحفاظ على ماله والدفاع عن عرضه، وإذا لم تفعل ذلك تكون من الآثمين،وله أن يخاصمك أمام القضاء ويلزمك بالضمان إذا لم تنقذ شخصا من الحريق، أو تسعف أعمى يتردى في هاوية، أو تغيث من يطلب منك الإغاثة والمدد حتى ولوكان على غير الإسلام وجاء في هذا قول الله تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} [التوبة: 6].

وتقضي سماحة الإسلام، أن يجير المسلم من استغاث به، وأن يقوم شرع الله بالحكمة والموعظة الحسنة لأن جهله سبب شركه، فإن أبى أن يستجيب فعلى المسلم ان يوصله إلى بر الأمان دون تعرضه لأذى.

كما كفل الإسلام للمسافرين حقا على الناس المقيمين بأن يهدوه إلى الطريق وأن يعطوه مالا - إذا كان محتاجا - من الزكاة لأنه ابن سبيل.

ومن الثابت أن قاموس اللغة العربية لا توجد فيه كلمة "ارهاب" وأن كلمة "عنف" لم ترد في القرآن الكريم إطلاقا كما أن الرسول ﷺ لم يدع أبدا للعنف حتى في أيام حصار المشركين لـه ومحاولـة قتلـه، لأنـه رسول الأخلاق الحميدة والرحمة المهداة من رب العالمين، فأيآت القرآن الكريم التي ذكرت بها كلمة "الرحمة" ومشتقاتها. تجاوزت (300) ثلاث مائة آية**{بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** [الأنعام: 54]، و**{نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [الحجر: 49]، ويصف الله عز جلاله الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم:**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}** [الفتح: 29].

وهناك؟؟؟ من لم يزل - وهو على غير دين الإسلام - يقول كلمة حق وصدق في العرب، فمن رسالة للبطريرك "مرو" إلى اسقف فارس في عهد الخليفة عثمان بن عفان جاء فيها:

"إن العرب الذين أتاهم الله الملك (ملك الأرض) لا يتعرضون لدين المسيح، بل على العكس يساعدوننا في ديننا، ويحترمون ربنا وقديسنا ويسبغون الهبات على كنائسنا وأديرتنا"

ومن لا يذكر ومدونات الأيام تشهد أن خلفاء الدولة العباسية أنشأوا كما فعل منافسوهم في قرطبة ادارة خاصة بحماية أهل الذمة وتأمين مصالحهم حرصا منهم على صالح رعاياهم غير المسلمين، وكان رئيس هذه الإدارة يسمى في بغداد كاتب الجبهذة، وفي الأندلس كاتب الذمام.

كانت موقعة القادسية التي ألقت بزمام فارس في أيدي المسلمين بشير النجاة لمعظم أهل فارس، كما كانت واقعة اليرموك وأجنادين بشير النجاة لأهل الشام والروم والمصريين.

إن الديانات السماوية مثالية، وفردوس الله الخالد ليس كمدينة الماديين الفاضلة، ورسالة الإسلام للبشرية جمعاء ليست من انتاج حركة التاريخ ولا التفكير الهيجلي والداروينى، والا لجاءت عقيدة الإسلام مطابقة لأفكار سكان الجزيرة العربية وأقرت عاداتهم البالية:

1- لقد حرم الإسلام الأخذ بالثأر وهو من القيم الجاهلية.

2- حرم الإسلام الربا والاستغلال وهذا ما كان من أعراف الجاهلية.

3- حرم الإسلام الميسر والسرقة وشرب الخمر والاعتداء والغزو وهذا ما كان يمارسه العرب في جاهليتهم.

4- حرم الإسلام وأد البنات وهذا ما كان يحدث خشية العار أو الفقر في الجاهلية.

"وبناء على ما تقدم تقرر أن لا علاقة لحركة التاريخ بنزول الرسالة الإسلامية، وانما العلاقة كل العلاقة لله سبحانه وتعالى الذي بعث بالأميين رسولا منهم يهديهم إلى سواء السبيل"[1]

"ونحن نتناسى كثيرا أن مانطلق عليه اسم "عصر النهضة" في الغرب لم يبدأ بالفعل في ايطاليا بعد صحوة العصور اليونانية الرومانية التي تختلف عن النموذج اليهودي المسيحي، ولكنه قام بالفعل قبل ذلك بثلاثة قرون عند فتح العرب الجامعة الإسلامية في قرطبة باسبانيا، ونشر الترجمات العديدة للكتاب العرب كما شجعهم على ذلك القسيس ريموند من توليدو.

"وهكذا فبدلا من أن يترجم هذا الصراع بين النزعة اليونانية - الرومانية وبين النزعة اليهودية - المسيحية، صراع بين العلم والايمان، وبين الدولة والمسيحية، بين الفرد والمجتمع، فان هذا التراث العربي الإسلامي ككل كان

---

1 - محمود السيد غنيم، المادية التاريخية بين الوهم والواقع دار الحداثة للنشر والتوزيع. لبنان، ط1سنة 1986ص304"

علـى العكس يسمح بتعـايش جميـل بـين السـماوية والروحانيـة الخاصـة بعقيـدة إبراهيم التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون والمسلمون على حد سواء"[1]

ليس الإسلام اذن كما ذهب بعض المستشرقين "يدعو إلى التقدم إلى الأسوأ" وإذا كانـت حـدثت بعض التجـاوزات فـي مرحلـة مـن التـاريخ فذلك وارد عنـد ارساء قاعدة عالمية جديدة تنشد الخير والرفاهية لمختلف الأعراق والأجنـاس، ومن المؤكد أن الأضرار التي لحقت بالبعض ليست في الإسلام ولا من الإسلام في شئ، ولكنها من بعض الـولاة الـذين استبد بهم بريـق الحكم، وآخـرون كـان يغلب عليهم الحرص على أمن الإسلام، ويظهرون الميل إلـى الشـدة ولـيس فـي كل الأوقات.

ورحم الله الكندي فيلسوف الإسلام في قولـه:

"وينبغـي لنـا ألا نسـتحي مـن استحسـان الحـق واقتنـاء الحـق، وإن أتـى مـن الأجناس القاصية عنا، والأمم المباينة لنا فانه ليس أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير قائله، ولا الآتي به، ولا أحد يبخس بـالحق، بل كل يشرفه الحق"

فـي أعقـاب عهـد الخلافـة الراشـدة، وقعـت المآسـي التـي لا يـزال العـرب والمسلمون يعانون من اسبابها حتى الآن، ثمـة شـئ مـن هذا نطـالعـه فـي رسـالة الجـاحظ: "النابتـة" وفيهـا يـرى أن الإسـلام مـر بمرحلـة التوحيد، ثـم الفجـور، ثـم الكفر.

"والجاحظ كان معتزليا، ولـه هوى عباسـي، ويقصد بالمراحل الثلاث: العهد النبوي وفترة الخلافة الراشدة إلى مقتل عثمان وهو أول الفجور، ثم الكفر بمجئ بني أمية.

---

1 - رجاء جارودي وحضارة الإسلام. إعداد أمينة الصاوي و د. عبد العزيز شرف - مكتبة الفجالة ص171.

ولقد قاوم الامام على كرم الله وجهه هذا "الفجور" وانتهى الأمر بمصرعه ومصرع الخلافة الراشدة"[1].

* * *

1 - د. عبد العزيز كامل، الإسلام والعروبة في عالم متغير، كتاب العربي 15 يناير1989 ص97.

من يدير عجلة التاريخ إلى الوراء؟

لقد هرب العدل أمام تعطش الانسان إلى الرغبة في طلب الحكم وبريق الحياة الزائف، لقد حدثت انحرافات عن الخط الراشد، وخرجت رؤوس العصبيات من جحورها، واكل الحكام واعوانهم من استنزاف اموال الناس وارواحهم، فتهاوت اركان من حصون الإسلام، وصال الصليبيون والمغول وجالوا خلال الديار، ثم انهارت الخلافة العباسية، وتحكَّم في أمور المسلمين من لا يحسن العربية، ومن لا يحسن الإسلام وتعاليم الإسلام.

انقلبت موزاين الأمة، ولم يعد الحكام يربطون بين قول الحق جل جلاله واعمالهم في الرعية:

"قال ابو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا. انهم كانوايستقرءون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل معا"[1]"

ولا يمكن غض الطرف عن انحدار الإسلام ومن حالوا دون ازدهار الأمة وحضارتها دون التصدي لمن اعتمرت رؤوسهم بالعمائم وهي تغص بالخواء الديني والخرافي:

"فقد ظهر بين المسلمين أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه وخلطوا باصوله ما ليس منها، فانتشرت فيهم قواعد الجبر وضربت في الأذهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى امسكت بعنانها عن الأعمال، هذا إلى ما ادخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما احدثه السوفسطائيون الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر حقائق، وما وضعه كذبة النقل من

1 - مقدمة تفسير بن كثير.

الاحاديث ينسبونها إلى صاحب الشرع ﷺ "[1].

ويكاد البحاثة يجمعون على ان الأفات التي الحقت الضرر بالأمة الإسلامية كانت بسبب الجنوح والايغال في الأخذ بمظاهر الحياة الدنيا، وتأثر قادة الفكر بالثقافات التي نقلوها عن الاغريق والرومان في ظل ظروف ابتعد فيها الحاكم عن مسار الإسلام العادل الذي اتبع نهجه الخلافاء الراشدون، ثم تصاعدت حالة التناقض والأخذ بأحكام الشرعية بدءً من نشوب الصراع الفئوي في الدولة العباسية إلى دعوة عبد الله بن سبأ الهادمة إلى محاولات تخريب البرمكية في ظل دولة العباس إلى ما اشاعته ثقافة الفرس في المسلمين من دعاوي التحلل الأخلاقي والعفن العقلي، مع شيوع انتشار اساليب الرياء والنفاق والخداع في اعمال رجال الدولة وبين عمالها، وبين عمالها والعامة إلى جانب الترويج لمذاهب موجهة ضد الدين الإسلامي في الاساس تحت غطاء شعاره: "حرية التعبير وفتح ابواب الاجتهاد"

الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بان الذي يجري على الساحة العربية والإسلامية - اليوم - من فقهية وفكرية لم يختلف ضمنيا الا في قليل من التفاصيل عن هياكل الافكار القديمة واصولها:

"الراوندية، والمقنعة، والخزمية، والبابكية، والأقشين، وعمل بن ديصان، ثم انتعاش المزدوكية، والمانوية، ثم القرامطة، ليأتي بعدها التتار إلى آخر هذه المواكب من القوى والمذاهب التي تحمل العداء والكراهية ضد الإسلام"[2]

ومن بطون هذه الأفكار صاغت تلك الفرق الهتها وتوهمت كل جماعة أنها صاحبة الفرقة الرائدة، وتجاسر الانسان، وبدلا من أن يفكر بانه صاحب عقيدة أصبح يتطاول ويدعى انه اصبح قادرا على صنع آلهة من خزف وطين، وفيهم

---

1 - الإمام محمد عبده: الاضطهاد في النصرانية والإسلام، الأعمال الكاملة ج 3 ص325.

2 - صابر عبد المنعم طعيمة: الإسلام والثورة الاجتماعية، ط أولى سنة 1970 - الناشر مكتبة القاهرة الحديثة.

من ساروا علىالطريقة الميتافيزيقية غير المسايرة للزمان حيث تتقهر الروح إلى بدائيـة التفكير فـي العصـور الأولـى، وفـي هؤلاء مـاديون ممن كـانوا يهتمـون بتطبيق اعمال العقل على الواقع والمشـاهدة دون النظرفـي فتح ابواب مجـالات الروح الانسانية.

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين وجه حديثه للمسلمين:

"لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا فـي جحر ضب لا تبعتموهم، قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟.. قال: فمن"[1]

ومن الملاحظ أن الذين يتصدون لهذه الانحرافات العقلية تنبري لهم فئـة متسـائلة فــي تشـكك: كيـف يـدعي المسـلمون بـأن الإسـلام يحفـز علىاعمــال العقـل{**وَتِلْـكَ الْأَمْثَـالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهَـا إِلَّا الْعَـالِمُونَ**} [العنكبـوت: 43]، و{**وَقُـلِ اعْمَلُـواْ فَسَـيَرَى اللّـهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَسَـتُرَدُّونَ إِلـى عَـالِمِ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} [التوبـة: 105] و{**قُل لَّوْ شَـاء اللّـهُ مَـا تَلَوْتُـهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**} [يونس: 16] ثم بعد ذلك يحاصر الاجتهاد بنص المصطفى ﷺ: ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

يجيب على ذلك رسول الله ﷺ باسلوب واضح الدلالـة وهويري حـال الامـة في انقسامها إلى فرق شتى: "إني اخاف على امتي من اثنتين: القرآن واللبن، أما اللـبن، فيبتغـون الريـف ويتبعـون الشـهوات، ويتركـون الصـلوات، وامـا القـرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين"[2]

ولكـأن الماضــي يعيـد صـياغة الحاضـر بأسـلوب العصـر، وهلـل الاعـلام الغربي لمن اجترؤا علىالإسلام واستعملوا الأحاديث النبويـة الشريفة فـي غير مظانها، وكتبوا "آيات شيطانية" تذدري القرآن الكريم، وسددوا سـهام الكراهيـة

1 - رواه أحمد والبخاري. كتاب: أحاديث الأنبياء.

1 - رواه أحمد..

لكل من يمت للآسلام بصلة، فكانوا مثل فروع شجرة تمتد جذورها إلى عصر التأويل الأول، حيث برز دور التفكير العقلاني في حياة الأشاعرة والمعتزلة ومن كانوا يعظمون العقل ويعهدون اليه بالدور الرئيسي في بنية الشرع والمجتمع، ويقولون ان العقل يقتضي التسوية فى الحكم بين المتمثلات، والتفرقة فيه بين المختلفات، ولو اضطرد الأمر كذلك في الشريعة كان القياس أمرا دعوا اليه العقل.

في مواجهة هذه الأفكار ظهر اجتهاد مغاير أفصح عنه ابن حزم المتوفي سنة 456هـ حيث اعلن في روضة القياس الإكتفاء بالقرآن والسنة، ويرى ان من قال بالقياس في الشريعة فقد تعدى، ولا أحسب أن أحدا من المسلمين اخذ موقفا مضادا من التآويل، فتآويل المتشابهات من الآيات القرآنية يعني التفسير، كما أن التأويل عند الصحابة والتابعين يعني التفسير والتدبر، ومن هنا كانت دعوة الرسول ﷺ لابن عباس: **«اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل»** بمعنى أن التفقه في الدين يأتي قبل الدخول في مجالي التأويل والتفسير.

إضافة إلى ما يقدمه للآسلام من اساءة من ليسوا فقهاء ومن ساعدتهم على ذلك العديد من الظروف، منها أن الإسلام انبعث عن تشكيلة واسعة من التيارات الفكرية والثقافية، تراوحت بين الأكثر محافظة، والأكثر تقدمية، ومن الأشد عقائدية إلى الأشد انفتاحا.

"إن من كرم الله - تعالى - أن علم الانسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به ابو البرية آدم على الملآئكة، والعلم تارة يكون في الأذهان وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، وفي الأثر قيدوا العلم بالكتابة، وفيه ايضا من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم"[1]

---

1 - تفسير ابن كثير ج1/ 528.

ومن صفات المؤمنين أنهم الذين يفكرون ويعقلون:{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 28]، أما عن غفلة القلب وغربة العقل فهما لا يبرران موقف الانسان المتردي:

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10]، اما الذين يؤمنون ويعلمون فانهم العلماء الذين يخشاهم الله تقديرا للعلوم التي يفيدون بها البشرية:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28]، وهو الله القادر العاطف على مخلوقاته الداعين:{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114]، كما حث الله عباده على توسيع رقعة مدركاتهم الحسية والبصرية:{فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} [الأنعام: 104].

وتأصيلا فان نظام الشورى في الإسلام يعتبر مصدرا تشريعيا - في الإسلام - قبل صدور القوانين المنظمة للديموقراطيات في العصر الحديث.

والشوري بالاساس اجتهاد مجاله الأمور الدنيوية وما لا نص فيه، وكانت بيعة الصحابة للخلفاء الراشدين نموذجا لإعمال مبدأ الشورى.

وهناك تفسير للنبي ﷺ سبق عصره وتجاوز حدود الديموقراطيات الحالية، فعندما سأل على بن ابي طالب كرم الله وجهه عن "الأمر ينزل بنا بعدك ولم ينزل فيه قرآن ولم يسمع فيه منك شئ" أجاب صلوات الله عليه وسلم: "أجمعوا العالمين واجعلوه شورى بينكم ولا تقضوه برأى واحد"

وهذا صريح في وجوب الشورى ووجوب الإلتزام بها. فهل إذا أخذ المسلم اليوم مبدأ الشورى يتهم بانه يدير عجلة المستقبل إلى الوراء؟

* * *

الإسلام
التوسط والاعتدال

قيل في صفة النبي ﷺ: **«أنه كان من أوسط قومه»**، أى خيارهم، تصف الفاضل النسب بأنه أوسط قومه"[1]".

وجاء في القرآن الكريم:**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}** [البقرة: 143].

"وحول معنى الآية "أمة وسطا" ذكر القرطبي في تفسيره: الوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وروى الترمذي، عن ابن سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قوله تعالى:**{**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**}**، قال: عدلا، وفي التنزيل قال: أوسطهم أى أعدلهم.. وسط الوادي: خير موضع فيه، واكثره كلأ وماء، ولما كان الوسط مجافيا للغلو والتقصير كان محمودا.. وفلان من أوسط قومه.. أى من خيارهم، واهل الحسب منهم"[2]

نخلص من القول تأسيسا على ما تقدم أن التوسط والاعتدال من أبرز السمات الرئيسية للاسلام، وبالعودة لمصدر الإسلام وهو القرآن الكريم والسنة النبوية نكون قد خلصنا النية في معالجة شؤون المسلمين أينما كانوا في أي عصر من العصور مع مراعاة النزوع الفطري إلى السمو والرقي بدءا بحرية الاعتقاد وانتهاء بحرية التعبير، وذلك على اعتبار ان الانسان ليس مجرد كائن في دنيا الله، بل هو مخلوق له

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بدون تاريخ ص833.

2 - القرطبي ج2، ص152.

طبيعـة تناسـب رسـالته فـي الحيـاة خاصـة إذا كـان علـى هـدى مـن القـرآن يعصـمه مـن السـقوط فـي هـوى الـذات وشـهوة العقـل الخاضـع لاسـتبداد الجدل والاختلاف.

إن الانسـان المسـلم يحظـى بمزيـة فريـدة هـي العقـل والوجـدان، فـإذا صـادفه أمـر لـم يقتنـع العقـل بـه فانـه يحيلـه إلـى قلبـه فـي عمليـة اسـتفتاء، وهـذا اسـلوب آخـر مـن ابـواب الاجتهـاد وصـولا ليقـين يضـع الضـوابط والحدود حماية من الأهواء والنوازع التي تضر.

وإذا حـدث وظهـر هنـاك خـلاف، وهـذا أمـر متوقـع، فانـه بجهـود واجتهـادات العلمـاء الثقـاة يمكـن معالجـة المشـاكل التـي تعتـرض طريـق المسـلمين، علمـا بـأن نشـأة الاخـتلاف فـي الأحكـام الفقهيـة ليسـت بنـت السـاعة، ولا وليـدة اليـوم، بـل تعـود إلـى نشـأة الاجتهـاد فـي اطوارهـا الأولـى بعـد وفـاة النبـي ﷺ وانقطـاع الـوحي، وتـوزع الصـحابة رضـوان الله علـيهم في الأمصار.

ويرجع الاختلاف في الأحكام الشرعية إلى اصلين هما:

- احتمال النصوص الشرعية لأكثر من معني.
- اختلاف المدارك والأفهام.

قـد يكـون فـي ذلـك مـا يثيـر عواصـف الريـاح ويفسـح المجـال أمـام نشـوب صـراع جـدلي، وبالتـالي قـد يفضـي إلـى صـراعات فئويـة أو جبهويـة لا تصـنع الايـلاف بـل تفضـي إلـى سـوء الظـن وسـيادة أسـلوب التنـاقض المنـافي لسـماحة الإسـلام، وفـي القـرآن الكـريم ان الله تعـالى يريـد بالنـاس اليسـر ولا يريـد بهـم العسـر، وفـي هـذا الصـدد أرشـد النبـي ﷺ المؤمنين إلى ضرورة تناول الحياة بيسر حتى لا يغلبوا على أمرهم:

"إن الـــدين يســـر، ولا يشـــاد الـــدين أحـــد الا غلبـــه، فســـدوا وقـــاربوا وابشروا "[1]

وبعيـدا عــن العنــت والإســتبداد بــالرأي تنــاط الأمــور فــي الكثيــر مــن الحيــاة - فــي الإســلام - لا علــى مــا يفــرزه العقــل مــن نتــائج واختبــارات معمليـة، وانمـا علـى تقوى الله التـي وضـعها فـي كل قلـب مسلم:**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات: 13].

لـم يقـل سـبحانه وتعـالى أعلمكـم لأن الانسـان قـد يكـون حاصـلا علـى أعلـى درجـات الكفـاءة والعلـم لكنـه لا يفيـد النـاس بقلمـه بـل يصـيب حيـاتهم بالوبـال والـدمار، أمـا مـن كـان علـى تقـوى وصـلاح فـان كـل مايصـدر منـه يكون فيه اثمار وفلاح لخير البشرية.

وازاء مـا يشـيعه المرجفـون بـأن العقـل الايمـاني وهنـت قـواه المنطقيـة امـام تقـدم العلـوم فلعـل مـن طـالع تلـك المراحـل التـي اخـذ فيهـا المسـلمون أمـور ديـنهم بعـين العقـل والاجتهـاد والتبصـر سـيرى كيـف كانـت مـواكبتهم الحيـاة لهـا ابلـغ الاثـر، خاصــة عنـدما تنـاولوا فـي بحـوثهم مشـاكل العلـوم الطبيعية.

إن إمامـا بـارا فاضـلا مثـل الشـيخ محمـد عبـده لـم تبعـده دراسـة الفقـه الإسـلامي عـن محاولـة الريـادة فـي مختلـف العلـوم إلـى درجـة وجـد فـي القـرآن الكـريم موضـعا لنظريـات "تنـازع البقـاء" و"الانتخـاب الطبيعـي" وهـو بصـدد التـدليل علـى صـحة قولـه استند إلـى آيـات مثـل:**{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}** [الأحـزاب: 62] و:**{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا**

---

1 - أخرجه البخاري.

اسْـمُ اللَّـهِ كَثِيـرًا وَلَيَنصُـرَنَّ اللَّـهُ مَـن يَنصُـرُهُ إِنَّ اللَّـهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ} [الحـج: 40]، يوضـح الشـيخ محمـد عبـده موقفـه مـن العلـم الحـديث بـأن العلـم الـذي كـان يقصـده لـيس هـو العلـم الطبيعـي علـى وجـه التحديـد، ولكـن مـا يسـمى الآن بـالعلوم الاجتماعيـة، ولكـي يحقـق ذلـك حـاول العمـل علـى احـداث تطـوير فـي رؤيتنـا التقليديـة لإرادة الله المطلقـة بغيـة الوصـول إلـى مفهـوم يفسـر القـوانين التـي تحكـم الطبيعـة وتجعلهـا تسـير وفـق نظـام دقيـق، واسـتطاع بذلك أن يضفي اعتبارات السببية على الوضع الالهي لنظام الكون.

ومـن تجربـة الامـام محمـد عبـده مـع القـوانين التـي تحكـم طبيعـة الأشـياء تعلمنـا كيـف تصـبح الانطلاقـة مـن حقيقـة إلـى حقيقـة أخـرى تفـرق بـين الفكـر والتفكيـر فهمـا مـع اقتسـامهما أمـرا واحـدا هـو مـادة الفـاء والكـاف والـراء إلا أن بينهمـا فروقـا كثيـرة، فـالتفكير عمليـة عقليـة ذهنيـة صـامتة يحـس بـه صـاحبه بعـد الله سـبحانه وتعـالى، امـا الفكـر فهـو حصـيلة ذلـك التفكيـر، إذا دونـه صـاحبه أو اسـمع بـه غيـره، غيـر ان التفكيـر ذاتـه سـابق في الوجود عن الفكر ولولاه ما كان الفكر.

مـن اجـل ذلـك فقـد ثبـت أن تـاريخ الفكـر الإسـلامي يمتـاز بانفتـاح الآفـاق وتوظيف التراث بوجوه التعددية والتسامح الديني.

فبحلـول الإسـلام تخلـص العـرب مـن النزعـة الماديـة الغارقـة فـي الاباحيـة الحيوانيـة.. لقـد كـانوا قبـل الإسـلام وثنيـين وملاحـدة، يعتقـد معظمهـم أن المكـان لا نهايـة لـه ولا حـدود والزمـان سـرمدي لا أول لـه ولا آخـر والأرض مثـل حبـة رمـل فـي المحـيط الكـوني الـذي لا شـواطئ لـه.

إن مطالعة تاريخ الأمة العربية يؤكد أن سبيل التطور والرقي لن يتحقق الا بالمثل الأعلى الإسلامي.. وهو اقرب إلى طبيعة الانسان من مثل أعلى نابع من الإسلام وهو دين الفطرة.

"يدهش عقل الناظر في احوال البشر عندما يرى ان هذا الدين يجمع اليه الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها في اقل من ثلاثين سنة ثم يتناول بقية الأمم ما بين المحيط العربي وجدار الصين في اقل من قرن واحد، وهو امر لم يعهد في تاريخ الاديان، ولذلك ضل الكثير في بيان السبب واهتدى اليه المنصفون فبطل العجب"[1]

لقد شاع مفهوم "الدين" في الإسلام حيث جمع بين الشمول الزماني والمكاني والموضوعي الذي يمثله قول الله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ:**{وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].

إن السؤال عن الايمان قائم، ولكل عصر ان يسأل ذلك السؤال: من خلق العالم؟.. في عصرنا إذا أجاب العلم عن هذا السؤال بنعم فما عمل الدين إذن؟.. هل يجوز ان نتقبل هذا التعبير ونفكر في أن يتوحد رجل العلم برجل الدين. تماما مثل كهنة آمون في عهد الفراعنة؟.

* * *

1 - الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد.

الأصوليون في ميزان العلم

كان الكهنة في مصر بيدهم - وحدهم - خزائن العلوم وأسرار المعارف، إلى جانب المعرفة بوسائل التحنيط، وعلى قدر حنكتهم والمامهم بشؤون السياسة وإدارة دفة الحياة، فقد استطاعوا بإيمان أن يجسدوا مظاهر الخلود ويحفرون صوره على الجداريات، وبفيض شعري من عصارة روح الله انعم عليهم بأجنحة يسرت لهم سبل التحليق ورصد ما في فراديس الخلود من جمال.

والكاهن هو الحصيف الحكيم، والحكيم هو من كان يشتغل بالتطبيب واجراء عمليات الجراحة، وكانت درايته واسعة بالمكونات العضوية لعناصر الأدوية، إلى جانب القدرة على الإلمام بالسياسة وتحريك أجنحتها حتى خرج من الكهنة من اصبحوا فراعين وجلسوا على عرش البلاد، يديرون شؤونها من منطلق ثيوقراطي عقيدي، وكان من المستحيل أن تعثر على حكيم من هؤلاء دون ان تتوفر فيه موهبة الشعر، والاشتغال بالسحر.

وبعيدا عن المقارنة بحكماء العصر الراهن، فإن الحقيقة - أحيانا - تستوجب الاقتراب من المتماثلات والمشتبهات التي من بينها طلائع القوى الإسلامية، أو من يطلق عليهم نشطاء الحركات الأصولية حيث نجد معظم قياداتهم تخرجوا في الكليات العلمية.. مهندسون.. جيولوجيون.. اطباء.. صيادلة، وفيهم من درسوا علوم الفضاء والذرة، ومن برعوا في العلوم الانسانية وكتبوا القصص القصيرة والنقد الأدبي مثل الراحل سيد قطب.

من قاعدة الدين، مضى هؤلاء على يقين بأنه يؤسس على اكتافهم البعث او الإحياء الإسلامي.. القرآن الكريم رائدهم، والسنة المحمدية هى طوق النجاة من الغرق في الحياة.

انطلاقا من هذه الثوابت يؤكدون دور الإسلام وأهميته المتزايدة في حل المتناقضات الاجتماعية والتوجيه الروحي والعقلي للبشر.

ومع المفارقة نقول: أنه إذا كان الماركسيون يعتقدون بأنهم نجحوا في تفسير تكوين الرأسمالية واصبحوا يبرهنون على ان المفهوم المادي للتاريخ لا يكون مجرد افتراض علمي "بل مذهب مبرهن بعلمية ويصير استخدامه مشروعا لدراسة المجتمعات الأخرى" فان الإسلاميين يسوقون للرد على هؤلاء صورا من عهد خلافة عمر بن الخطاب وصورا من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حياة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

ومن ثم يتجسد المشروع الاقتصادي الإسلامي حيث يقدم منهجا تقدميا وسباقا في حسم قضية الثروة والتطور الاقتصادي، ويعلمنا الإسلام انه ما دام خلق السموات والأرض لله وحده، وانه جلَّ شأنه بيده مقاليد السموات والأرض بما فيها من ثروات، فلا داعي مطلقا أن يحتكر أى مخلوق فانٍ أى شئ فيها أو ينسبه لنفسه:**{قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [المؤمنون: 84].

الأمر الذي جعل الأصوليين يقدرون أن قيمة الفرد في الإسلام من حيث هو انسان لا تقدر بمال أو جاه، كما لا يأخذ الإسلام بقرابة الدم أو يعتبرها اساسا لوحدة الانسانية، فقرابة الدم اصلها مادي مرتبط بالأرض وما هو أدنى، بينما وجهة نظر الإسلام روحية ومرتبطة في آن بمطالب الانسان الحياتية مع المحافظة على صفاء الفطرة وشفافية الروح حتى يكون على استعداد دائم لمناهضة النفس وتحريرها من أسر الروابط المادية.

ويلاحظ أنه منذ الأمبراطورية الرومانية لم يوجد لاهوتي غربي أو كاتب من هناك يعرف عن وحدة الانسانية أكثر من كونها فكرة عامة، اما الإسلام فان

الأمر فيه على خلاف هذا، اذ انه لم ينظر إلى وحدة الانسانية على انها فكرة فلسفية، أو حلم من صور اليوتوبيا، بل بوصفه حركة اجتماعية، يهدف إلى جعل هذه الفكرة عاملا حيا في الحياة اليومية للمسلمين.

من تلك الزوايا يؤكد الأصوليون أن الإسلام بوصفه دستورا ينظم العلائق بين الانسان وربه، وبين الانسان والمجتمع فهو الإداة المثلى والعملية لجعل المثل العليا تصير حقائق ملموسة في حياة البشر العقلية والوجدانية والاجتماعية، بيد أن ذلك يتطلب الطاعة والإخلاص لله - سبحانه وتعالي - قبل أي شئ آخر، وما دام الانسان يؤمن بأن الذات الإلهية هى مصدر الحياة بشقيها الروحي والمادي، فإن اخلاصه لله إنما يكون بمثابة الاخلاص لفطرته وطبيعته الخيّرة.

هذه الطهارة وذلك السمو جعلت الغرب يرتعد فرقا من الإسلام القادم باصرار ونقاء السريرة، وبعض الغربيين يعلنون أن الغرب ليس لديه مشاكل مع الإسلام، ولكن مع المتشددين الأصوليين.

الواقع، أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت دائما تعتريها العواصف المفجعة، في القرن الخامس عشر استعاد المسيحيون إيبيريا واحتلوا غرناطة عام 1492م.

ويرى هنتنغتون أن اسباب هذا النمط من الصراع يكمن ليس في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر أو أصولية القرن العشرين الإسلامية:

"انها تنبع من طبيعة الدينين والحضارات المؤسسة على مبادئهما، الصراع كان من جهة، نتاج خلافات، وخاصة مفهوم المسلم بأن الإسلام منهج الحياة يوحد الدين والسياسة ضد المفهوم الغربي المسيحي الذي يفصل الدين عن

السياسة، ولكن الصراع ايضا ينشأ من التشابه بينهما، كل منهما يؤمن بالله الواحد وفي ذلك يختلفان عن الأديان الأخرى التي تشرك بالله، كل منهما يرى العالم بطريقة مزدوجةنحن وهم، كل منهما عالميا يدعي أنه الإيمان الحقيقي، والذي يجب أن تعتنقه كل الانسانية، كل منهما صاحب رسالة دينية يعتقد بأن معتقديه ملتزمين بتحويل غير المؤمنين إلى ذلك الايمان الحقيقي الواحد، الإسلام من بدايته انتشر بحد السيف وعندما سنحت الفرصة للمسيحية فعلت كذلك، تماثل مفهوم: "الجهاد"، "والصليب" لا يجعل الدينين متشابهين فقط ولكن تميزهما عن الاديان الكبرى الأخرى، الإسلام والمسيحية، واليهودية لديهم وجهة نظر غائية للتاريخ تعكس وجهة النظر الجامدة والدائرية للتاريخ التي تبرز في بعض الحضارات الأخرى"[1]

ومن المعروف أن اهتمام الغرب بالإسلام ولد في فترة مبكرة منذ أيام الدولة البيزنطية فيما يعرف بالمحاولات اللآهوتية بين أصحاب العقائد المختلفة خاصة الإسلام والمسيحية، وهى محاولات كانت تتوخى في معظمها حماية الذات عن طريق تشويه سمعة الآخر، ومحاباته، وقد اطلقت الأضاليل والحكايات المسفة ضد الإسلام وحاول مؤلفوها سبكها في قوالب شعبية حتى يسهل تداولها، ومن شاء الاطلاع على المزيد من هذه الحكايات فيمكنه الحصول عليها من ادبيات الغرب اثناء وعقب الحروب الصليبية، ومع فتح القسطنطينية. ثم اتسعت دوائر الاهتمام بالإسلام بعد ان تمت اول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللآتينية فيما يعرف بترجمة "يركلوني" في القرن الثاني عشر:

"وقد نشرت هذه الترجمة بعد اختراع الطباعة لأول مرة في بازل 1543 وترجمت إلى الايطالية ونشرت في فينيسيا عام 1547) وتوالت طباعتها بعد

---

1 - المرجع: صموئيل هنتغتون صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي نقلة إلى العربية د. مالك عبيد أبو شهيوة د. محمود محمد خلف. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طبعة أولي 1999 ص372 و273.

ذلك، وقد امتلأت هذه الترجمة - متأثرة بالتراث السابق لها وبمناخ العداء المنتشر وقتذاك - بمجموعة من الأوهام والأساطير والأخطاء المتداولة منذ ايام يوحنا الدمشقي حوالي 675 - 749)، ولانها كانت المصدر الوحيد لمعرفة القرآن في العالم الغربي، فقد ساهمت بدور اساسي في تشكيل صورة مشوهة للإسلام، استمرت لفترة طويلة، خاصة انها ظلت المصدر الأساسي، بل والوحيد الذي اعتمدت عليه الترجمات الأوربية والترجمات اللآتينية حتى القرن الثامن عشر"[1]

وإذا أعدنا قراءة أوراق القرن التاسع عشر سنرى مدي اهتمام الغربيين بالقرآن الكريم إلى درجة أن الدراسات القرآنية من المعالم البارزة للإستشراق الألماني، هناك ظهر اسمان كان لهما شأن كبير في هذا المجال هما: هنريش فلايشر (1801 - 1870) الذي اهتم بنشر تفسير البضاوي خلال الفترة من 1846 - 1849) و(جوستاف فلوجل1803 - 1870م) ثم قام بتصنيف "معجم ألفاظ القرآن الكريم" وضمنه بعض الشروح.

ويعتبر المستشرق الألماني الكبير (تيدور تولدكه 1836 - 1930) حلقة الوصل بين القرنين التاسع عشر والعشرين في ميدان الدراسات القرآنية، ومن اشهر الترجمات التي مضت إلى افاق اكثر عقلانية وتسامحا وأقل حدة في الأخطاء ترجمة ساموبل فريد ريش جنتر) ثم ترجمة (أولمان).

وشهد القرن العشرين أكثر من ترجمة للقرآن جدية وكاملة عن العربية مباشرة، منها ترجمة (تيودور جرينجول 1901) و(ماكس هيننج)، وقدم (جاك

1 - المرجع. شفيق العمروسي: ترجمة معاني القرآني إلى الألمانية.. من سوء الفهم إلى الموضوعية. جريدة أخبار الأدب 13يوليو 1997.

بيرك المستشرق الفرنسي) ترجمة القرآن باعتباره النص المؤسس للحضارة الإسلامية، وقد انفق في إعداده خمسة عشر عاما من العمل المتصل حتى استطاع أن يترجم معانيه إلى الفرنسية.

ويختلف الأمر نسبيا بين ترجمة واخرى، وقد اخذت بعض الترجمات في الاعتبار رؤية النص ونقله من سياق حضاري الي سياق حضاري مختلف الأمر الذي يحتم نقل النص إلى ايقاع اللغة المترجم اليها ليوصل نفس الدلالات التي كانت له في اللغة الأصلية، وكان جاك بيرك صافي الذهن والطوية حين افصح عن منهجة في النص القرآني:

"سأقاربه بأحسن يتصل بنص نحاول ان نستقبله في ذواتنا، وسيكون لك بالتماثل معه، الا انه سيكون صادقا وملتزما، وسأتبع بهذا الصدد اجراء لا يشترك في شئ على كل حال مع الحلقة المتعجرفة التي يبسطها بهذا الخصوص كثير من المختصين"[1]

وكلمة حق اخيرة تقال في حق بيرك، أنه اخلص لمنهجه، وكان حذرا بالفعل مع عمق التأمل والابتعاد عن اللسانيات الحديثة، فهى ليست اختصاصه، لكن ثقافته الهائلة والمدخل اللغوي جعلنا في غير حاجة إلى لوغاريتمات الحداثة التي اغنتنا عنها معايشته الطويلة وفهمه العميق للنص القرآني.

فهل اهتم احد ممن يحملون اليوم على القرآن في الغرب بترجمة جاك بيرك الصحيحة للقرآن أو اعملوا فيها العقل؟

لاشك انهم قرأوا واستوعبوا، ولكن من يحرفون أن النزعة الانسانية في الإسلام تتمحور حول تصور عام لكافة المهلوقات وللانسان بوجه خاص على اعتباره كفاعل مركزي، أو كنائب للفاعل الأصلي يقوم مقامه كعلة ثانية من

---

1 - المرجع. جاك بيرك: القرآن وعلم القراءة، الناشر مركز الإنماء العربي - حلب.

موقع الخلافة السامية لله تعالي في الكون وبين مخلوقاته:{**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**} [البقرة: 30].

وفي هذا الصدد يقرر "سيد قطب1906 - 1966" أن الارادة العليا سلمت مقاليد الانسان:

"ووكلت اليه ابراز مشيئة الخالق في الابداع والتكوين والتركيب.. ومنحته الملكات والقدرات التي يحتاجها لأداء هذه المهمة بذلك تمت الوحدة والتنسيق بين نواميس الكون وبين القوانين والأحكام المفروضة على الانسان، وبذلك بلغ الانسان منزلة رفيعة في نظام الكون في مجموعه"[1]

ويرى زعيم (جماعة اسلامي) في الهند وباكستان "أبي الأعلى المودودي 1903 - 1979":

"أن الإسلام الذي يقوم بهذه الوظيفة لا يبقى فحسب خاضعا للقانون أو الشرع الإلهي، ولكن هذا القانون، ثابت ثبوتا مطبقا وصادق صدقا أبديا".

هذا الإسلام يرفع إنسانية من يؤمن بالقرآن، غير أنهم في الغرب يعتبرون "النزعة الإنسانية" هى جزء خالص من مكوناتهم وقد احاطوها بسياج ضربوه حول دنياهم، وهى ظاهرة - يقرون - أنها خاصة لم تعرفها الحضارة الشرقية، نظرا - كما يزعمون - التناقض بين روح الشرق وبين العقلية الجدلية: "أنا اشك، إذا انا موجود"

وعلى طريق التجهيل والتناسي آثروا ان يغضوا الطرف عن النموذج الحضاري الإسلامي حين كان يمثل تيارا فكريا في أوربا، وصف بتيار النـزرعة العربية، وقد احتضنت دفتيه رواد الحركة الاحيائية في اوربا بالتفويض العصر الوسيط المتمثل في الكنيسة في الفكر المدرسي القديم.

---

1 - المرجع. سيد قطب (في ظلال القرآن) ط ثانية، بدون تاريخ، القاهرة ج1 ص29.

ثم ترتفع نبرة العداء في القرن الواحد والعشرين متهمة القرآن بأنه يحض على الكراهية، وبعبارات ذميمة تثير المسلم وتدفعه للسخط والاحتقان.

إنه لا يمكن الزعم بعدم وجود تمايز ما بين الشعوب التي انتشر بها الإسلام، والقول بعدم وجود تمايز مثلا بين العروبة والإسلام قولا يحمل في طياته نكرانا لمشاركة الآخرين في الحضارة.

وللأصولية الإسلامية جواب صريح على اشكال الادعاء والزيف والعداءالتي اغرق بها الغرب المسيحي المتحالف مع الصهيونية العالمية ضد العرب والمسلمين، وعبر القراءة المتجردة لأحوال الواقع صرح الأصوليون بأنهم - وحدهم - يملكون الحقيقة، وفي مراحل سابقة كانوا على قناعة بأن مواقفهم تشكل الحد الفاصل بين الحقيقة والكذب، بين الإيمان والكفر بالله، وأن كل ما يدينون به ويعملون على نشر رسالته لا يحتمل الزج به على طاولات الحوار مع من لا يقين لهم ولا يؤمنون، وبالتالي - أمام عماء الآخر - كانوا لا يعترفون بامكانية وجود الحقيقة او جزء منها لدى غيرهم.

وعندما بدأت القاعدة الأصولية يتسع حجمها وتتضاعف اعداد الناشطين في حركاتها اتفق من لا يستندون على قوى الشعب من الليبراليين والعلمانيين في وجهة النظر القائلة بان الحركات الأصولية تكسب قوتها من ضعف الآخرين وبسبب استرخائهم السياسي، ويطنطنون بانه عندما تكون مؤسسات المجتمع المدني من قانون وقضاء وصحافة واحزاب موجودة وليست حبرا على ورق، فان قوى الأصولية سوف تنكمش ولا تستطيع الانتشار بين جنبات الدولة وفي اعماق الريف والمدن.

ويبدو ان هؤلاء لايدركون أن الدولـة المدنيـة والعسكرية فـي ظـل أنظمـة الحكم للعالم الثالث لا تهتم الا بتشديد قبضتها على اعناق المواطنين، ومن العته أن يحلم انسان بأن مثل هذه الأنظمة سوف تسمح بوجود قوى اجتماعية تنافسها على مقاعد السلطة.

لذلك. يرى الأوليون ان الدولـة الإسـلامية تقوم علـى أسس ديموقراطيـة، ولأبي الأعلى المودودي وجهة نظر يفترض فيها أن النيابة عن الله لا ينهض بأمانتها فرد ولا دولـة ولا طبقة، بل تتولاها الجماعة الإسلامية ويستطيع من ينوب عنها أن يؤدي هذه الامانة، وإذا فقد ثقـة الجماعـة، فلا بد ان يستقيل من مهمته.

ويفسر "علـي شـريعتي (الأمانـة) علـى اعتبـار ان افكـاره سـاهمت بشـكل ملموس في التمهيد للثورة الإسلامية في إيران عام 1978 - 1979:

"الأمانة هي حرية الارادة التي تميز الانسان عن سائر المخلوقات جميعا: في إمكان الانسان أن يختار بين أن يكون شبيها بالطين، أو بالإله. وبذلك لا يكون الانسان محتقرا عند الله، وانما هو شريكه وحبيبه. "[1]

من هنا كان سمو الحضارة الإسلامية وبلوغها مرتبة فريدة امتازت بها عن غيرها من الحضارات، ولأسباب منها:

1- انها قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة، فهي أول حضارة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريك لـه في الحكم.

أنها انسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فالقرآن وحده أعلن وحدة النوع الانساني رغم تنوع الأعراق والمنابت والأوطان في قول الله سبحانه وتعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ**

---

1 - المرجع. فريتس شتيبات (الإسلام شريكا) سلسلة عالم المعرفة - الكويت. ص112.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

2- أنها لم تتخل عن مبادئ (الأخلاق)، ولم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة، ففي شتى مواطن الحياة روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعا وتطبيقا ينعم الجميع بفضائلها.

3- أنها تؤمن بالعلم في خدمة قضايا الإسانية.

4- من خصائص الحضارة الإسلامية التسامح، كما تنفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دين واحد، ولكنها كانت للأديان جميعا.

* * *

من يخلط اللاهوتي بالسياسي بالحداثة؟

من تأثروا بغزوات الفكر الاستعماري.. من أعشت بصائرهم زيف تفوقه المادي، يعيبون على الإسلام والمسلمين أنهم عندما يناقشون هموم الانسان فمن قالب فكري يسميه الغربيون قبل القرن الثامن عشر اللاهوتي/السياسي، ويدعون أن عدم تقدمنا يعود إلى الربط بينهما في كل ما نذهب اليه.

ويراهن المتأثرون بالمنهجية الغربية على ان الأوربيين ومنذ القرن الثامن عشر على الأقل قد استبعدوا اللاهوتي عن السياسي، أو على الأقل باتوا يضعون اللاهوتي ضمن اطار يمنع عليه غزو النشاط السياسي للمواطنين.

وهذا القول فيه جنوح عن الواقع وافتئات على الحقيقة، اذ أن واقع الحال يؤكد أن الغربيين على عكس ما يدعون ويروج عنهم، وان كل اللاهوتيين سياسين ومعظم السياسين في الغرب لاهوتيين.

وسنتجاوز الآن الحديث عن حالة الرئيس جورج دبليو بوش اللاهوتية واستنباطه من بطون التراث الكهنوتي ما يوحي بأن مشروعه الاستعماري إنما جاء كتعبير حي، وأنه - كمسيحي مؤمن - لا يملك سوى الإستجابة لتلك المزاعم التي توسوس في أذنيه: (الرب قال لي...)، بل سنلقي الضوء على محاولات تجمع القوى في تجربة سعي لتحقيقها منذ سنوات قادة دول البلقان في شكل تحالف يوناني.. صربي.. بلغاري.. ارثوذكسي.. تعبيرا عن تلك المزاعم التي عبر عنها رئيس الوزراء اليوناني:

"إن الحروب البلقانية قد جلبت على السطح صدى الروابط الأرثوذكسية.. إنها رابطة كانت هادمة، ولكن مع التطورات في البلقان تأخذ نوعا مضمونا حقيقيًّا في عالم غزير جدا، الشعوب تسعى إلى البحث عن هوية وأمان، الشعوب تبحث عن الجذور والروابط حتى تدافع عن نفسها ضد المجهولين".

لبثنا زمنا نفتش عن المجهولين.. من هم؟، حتى اماط زعيم المعارضة في صربيا اللثام إبان القيام بعمليات التطهير العرقي ضد المسلمين، قائلا بوضوح:

"إن الموقف في جنوب شرقي أوربا سوف يتطلب قريبا تكوين حلف بلقاني جديد من الدول الأرثوذكسية، بما في ذلك صربيا، وبلغاريا، واليونان، حتى يقاوم تجاوز الإسلام لحدوده".

الساسة في دول البلقان ينشطون - شأنهم في ذلك شأن الساسة الغربيين - في سبيل حشد مختلف القوى المسيحية لمقاومة الإسلام حتى لا يتجاوز حدوده، وقد سبقهم الرئيس بوش في اتخاذ موقف متقدم حيث راح يشن حروبا وقائية من القواعد العسكرية المنتشرة في العراق وأفغانستان والتي تقع على بعد عدة كيلو مترات من حدود الجمهورية الإيرانية الإسلامية.

فمن الذي استبق الأمور في العصر الراهن وربط السياسي باللآهوتي؟.

غالبية المثقفين في الشرق تشبعوا بقراءة التراث الإسلامي على ضوء المنهجية الغربية، وقد ثبت ان معظم هذه الكتابات لم تكن صحيحة، واصبح الانسان عبدا ليس للاله الخالق الواحد، وانما لشياطين اللذة والجسد.

ويرى الإسلام أنه من الوقاحة والرذيلة أن يميز الانسان نظريًا بين الحق والباطل، ولا يجاهد لارتقاء الحق وازاحة الباطل، فإن الفضيلة كما يقول الإسلام تحيا إذا جاهد الانسان لبسط سلطانها على الأرض، وتموت إذا خذلها وتقاعس عن نصرتها، والتعتيم على فضائل الإسلام غاية يطلبها الغرب، حتى يصبح النموذج السائد منطلقا من سلفية غربية ذات بعد مادي.

فهل يقبل الشرق صاحب الحضارات الإنسانية أن يتحول إلى سوق دولية لا منتج ثقافي له فيها ولا منتج مادي؟.

هذا مـا تريـده الولايـات المتحـدة لنـا، ومـن المؤسـف أن مسـاعدات العـرب والمسلمون لها يجعلها تقترب من تحقيق أهدافها فى تلوين عالمنا بصبغتها:

"ولكن ليس حتميا أن تسير جميع المجتمعات في الطريق التي سارت عليها المجتمعات الغربية أبدا، ولا تبدأ المشكلة الا عندما نعتقد أن هنـاك خطـا واحدا للتاريخ يسير بالجماعات من العبودية إلـى الحريـة وإلـى الديمقراطيـة والقوميـة، وتفرض على انفسنا خطط المسيرة الأوربيـة ذاتها فنفشل حتمـا، ليس فقط فـي الوصول اليها، ولكن ايضا في الوصول إلى اجماع قومي وإلى وحدة قومية من اى نوع كان.

ونحـن نميل إلـى الإعتقـاد بـأن التـاريخ فـي كونيتـه يحمـل التعـدد والتفـاوت والاختلاف، فمن المنطقي أن الأسباب إذا اختلفت اختلفت معها النتائج"[1]

ومـا لـيس فيـه اخـتلاف أن التحـولات الماديـة تأخـذ مـن الطاقـة الفكريـة مـا يساعدها على النمو، ويخلع عليها مظاهر وأشكال ذات لمعان وبريق وان جاء ذلك عبر الخطـوط الثقافيـة المتباينـة الا أن شيئا مـن ذلـك لا يقـوي علـى امحـاء السمات الثابتة للحضارات، وما ينجم بينها من خلافات، بشكل يضيق ويتسع، حتى يصبح عنوانا ثابتا يتداوله بالبحث مختلف المهتمين في كل العصور.

هنا يجب علينا تحمل مسؤلية الاعتداد بثقافاتنـا وتيسير نشرها علـى العـالم حتى لا نقع تحت وطأة مشاعر الأفكار التي تريح رؤوسها من عناء البحث عن اسباب فشلنا وتحيل عجـز همتنـا إلـى ازالـة الفكـر الإسـلامي مـن افقنـا الثقـافي والفكري نتيجة الاجتياح الصهيوني وألامبريالي لبلادنا.

إننا مسؤولون ومتورطون معا في كل ما ألم بشعوب أمتنا من مصائب، ولم يجد الإسلاميون خلاصا لهذه الأمة وانتشالها من كبوتها إلا بالرجوع إلـى الـدين

---

1 - المرجع: د. برهان غليوم المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة، بيروت 1979 ص81.

والنفخ في نفير اليقظة لعل أقواما يبعثون وينتصرون للحق والعدل.

" وأذكركم أن الخطاب الذي نسميه اسلاميا قد حل كخطاب معركة محل خطاب الثورة العربية الإشتراكية التي كانت مستوحاة من علمانية دنيوية وليس من وحي ديني، وبالنتيجة نوه هذا الخطاب بالإسلام كمنطلق سياسي وكمنطلق للثورة، وهذه المرة ضد الحكومات الوطنية داخل المجتمعات العربية وفي نفس الوقت ضد هيمنة خارجية مستمرة"[1]

بالنسبة لواقع المجتمعات العربية، بالذات مصر، فمن المؤكد أن كل دولة كبيرة كانت أم صغيرة لها دوائر إنتماء، منها ما هو ثقافي وديني وجغرافي، وبطبيعة الحال تختلف درجة تأثير وفاعلية مثل هذه الدوائر من بلد لآخر، فالإسلام واللغة والعروبة يشكلون وجه مصر الحضاري، ويفجرون طاقاتها والدفع بها دوما صوب الريادة عبر خطوط ثقافية متجانسة.

غير أنه في السنوات الأخيرة ظهر على السطح تيارات فكرية وأديولوجية تسعى لربط مصر بتجمعات شرق أوسطية، تتعهدها أمريكا بالرعاية، لكي تحتل فيها اسرائيل دور القيادة والهيمنة.

ليس في ذلك شئ غير متوقع، إنما الذي كنا لا نتمناه قد حصل بأقلام حفنة وهبت حياتها لاقتلاع مصر من جذورها العربية، مدعية أن الارث العربي أقعدها عن النهوض بمسؤلياتها الجسام كأمة ذات حضارة عريقة.

هذه الخبرة ارتفعت حدتها في السنوات الأخيرة ولو أننا عدنا بالذاكرة إلى الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي فسنجد لها جذورا قد أينع صداها وتضاخم مع بداية الألفية الثالثة، ولسوف نتناول هذه الأصوات بالتفصيل لا حقا.

1 - المرجع. د. محمد أركون (الأصولية السياسية والدينية والتفكير الإسلامي، دراسة منشورة في كتاب مركز الدرسات العربي - الأوربي. ط. ثانية. بيروت 1997ص 352.

ويمكننا الآن رصد الأمور التي إجتمعت حولها أصوات القدامى والمحدثين. إذ اجتمعوا على أن مصر لو كانت اتجهت صوب حضارة وثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط لما أصابهاالوهن والتخلف.

صوت آخر ينبح زاعما أن الإرث العربي ليس شيئا أصيلا في حياة مصر والمصريين، ولا هوينسجم مع مصلحتهم، وأن الرابطة العربية فرضت على المصريين فرضا، فتحولت هذه الرابطة مع مرور الزمن إلى قيد على حرية مصر وحركة شعبها، وفي لزوجة وجهل يطالب احدهم - لمصلحة مصر - بالتخفيف من روابطها العربية.

لم يبق من مزيد لمستزيد سوى إشارة سريعة إلى ما يمكن أن نسميه بالمفهوم السيوسولوجي التاريخي الذي يرى أن الهوية القومية في انصهارها مع مختلف الأعراق تعني في أحسن الحالات، طرق تفكير وشعور وسلوك متماثله، مهيمنة نسبيا، وتتغير مع حركة التاريخ وتحولاتها الجذرية:

"فالهوية هي هوية نسبية وتاريخية، يحققها شعب ما عن طريق تفاعله الجدلي مع التاريخ ولا يرثها من تركيب نفسي.. عقلي أو (جوهر) متأصل فيه، إنها نتيجة استجابات يعانيها عن طريق المنشأة الاجتماعية، وليست ردًّا نظريا وغريزيا، انه مفهوم يرى أن خصوصيات أي شعب هى نتاج عوامل التاريخ الديناميكية، كالاحتكاك الثقافي والمؤسسات، والصراعات الاجتماعية والسياسية، والحروب والهجرات، والاختراعات، والازمات والقيم الثقافية، والتصورات الأديولوجية... الخ.

هذه العوامل، وليس (جوهريا، قطريا) وعوامل أخرى ثابتة كالجغرافيا (الغرائز)، و(الطبيعة الانسانية)، و(العرق) - هي التي تحدد الهوية القومية، وكذلك الثقافة أو الحضارة، وبما ان هذه العوامل هى عوامل ديناميكية متحولة عبر التاريخ، فان الهوية القومية تكون هى الآخرى متغيرة، ومتحولة، وهذا هو المفهوم العلمي الوحيد الذي يمكن قبوله"[1].

أعتقد أن هذا الطرح فيه من الإجابة ما يقطع بالرد على جماعة التغريبين، ومن يدعون أن الرابطة العربية فُرضت على المصريين فرضا وأنه لا خلاص لها - حتى تستعيد عافيتها - إما بالانسلاخ عن العروبة، والارتماء في أحضان الغرب، وهؤلاء قد يدعون إلى الاستقلال السياسي او إلى قدر من الاستقلال الاقتصادي، لكنهم يعادون "الاستقلال الحضاري" أى استقلال الهوية المتميزة عن هوية الغرب.

وفي مسألة ارتباط اللاهوتي بالسياسي يعلن العلمانيون الثوريون أنهم لا يقفون عند حدود المطالبة بالفصل بين الدين والدولة، وانما يريدون - على أسس فلسفية مادية ذات نزعة احادية - اقتلاع الدين والتدين من المجتمع بأسره، ومعنى هذا ان الخلاف بينهم وبين الإسلاميين هو خلاف في "الأصول" وليس في "الفروع).

كما أن الاستقلال الذي يروجون لـه في كتاباتهم هو في حقيقتة استقلال "الوطن - الاقليم، عن ماضيه وتراثه ومكوناته الإسلامية" وذلك لإلحاقه بالمركز الحضاري الغربي".

---

1 - المرجع. نديم البيطار (الهوية القومية والوحدة العربية) مجلة الوحدة) المجلس القومي للثقافة العربية، باريس السنة الأولى العدد(5) فبراير 1985 ص15.

وهناك فريق آخر ظهر على سطح الحياة المصرية وليس لأحد منه تـاريخ في الحياة العامة ولا في دنيا الثقافة، وإنما وجدوا الساحة تبسط أمامهم صفحات فارغة من الصحافة، فراحوا يزجون أوقات الفراغ في الكتابة. حيث كان ايقـاع الحديث يرتفع حول مزاعم "الحداثة" وطلب التحديث".

وبدأ الحديث عن إسلام كان قبل العصر الراهن "دينـا متسـامحا"، لأنـه لم يرفض الشواذ واللواطيين في فترة اعتبروها زاهرة في حياة الخلافـة العباسية، ما يثير التقزز أن لهم في ذلك حججا كانوا يسوقونها في إغراء شيطاني.

من ذلك - مثلا - ما يدللون به على عظمة تلك الأيام، إن عباقرة العرب في الإسلام كانوا ضد الدين، وإن الدين لا يقاوم الا بقوة الأفكار ثم يقف إلـى جوار هؤلاء من ارتبطوا فكريا وأديولوجيا بسياسة الغرب.. ادعوا فـي آخر كتابـاتهم أنه لم يعد ثمة تاريخ للإستشراق، وأن المجتمع العربـي أصبح اليوم جزءاً من الغرب لأسباب كثيرة منها: أنه لم ينتج شيئا ذي نفع، بل ويعيش على الاستهلاك معتمدا على منتوجات الآخرين.

هذه الكتابات طرحت العديد من الأسئلة، وكان هنـاك تبـاين فـي الإجابـة لـه علاقة ليس فقط بموقع الكاتب الذي يتناول هذه القضايا، وانمـا فـي رؤيتـه أيضـا لصلة هذا التاريخ بالحاضر ومحاولة تحريف مساره فـي اتجـاه عكسـي استجابة لتلك الاطروحات العنصرية والاستعمارية التي عادت بشكل عملاق فـي نهايـة القرن العشرين.

إن عـودة سـريعة إلـى الـوراء، لتتبـع التـراث الثقـافي العنصـري والمعـادي للحضارة الإسلامية ضروري في هذا الصدد:

"فالانجليز مثلا يعتبرون العرب المسلمين "وبـاء موجـع" وبـأنهم عبـارة عن مجرد كارثة، مثلهم كمثل الشعوب البربرية الأخرى، هذا الموقف قديم وطـرح

في القرن الثامن والتاسع الميلادي، كما ان الاعلام التراثي الغربي قدم "محمد" بصفته "كان ساحرا هدم الكنيسة في افريقيا وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية"، كان ذلك في القرن الثاني عشر "[1]

من يدينون بهذا الاتجاه ويروجون له على الصعيد المحلي يقولون: ’ن تراثا كبيرا للكتابة الأيروسية "الجنسية" العربية لا يزال تفرض عليه القيود، بل ويعد من المحظورات، فينسحب من الحياة ليباشر حق الاستمتاع باللذة في كهوف سرية، قد تقع أماكنها وسط البلد أو على امتداد الساحل الشمالي بين عرب واجانب.

ثم يحملون على الأعراف والتعاليم الدينية باعتبارها أداة كبت، وانها تأخذ موقفا عدائيا من الحريات الشخصية.

لذلك - كما يزعمون - هبطت المبادرات الفردية والابتكارات التي من شأنها أن ترتقى بالمجتمع وتعيد له اعتباره، من أجل ذلك هم مهمومون بحمل تبعات الواجب الانساني في سعيه من أجل "تحديث الحياة"، ونشر الثقافة الأيروسية كحق مضطهد، ودعم سبل ممارسة اللذة البهيمية وأن يعيش الجميع الحياة كما يحبونها من هنك ورنك وخلاعة، وبما يتواءم مع فهمهم للمعاصرة والحداثة، والواقع أن قوة السخط التي أعمت بصائرهم، كانت بلا عقل:

"ولم توجه في الأساس إلى التحديث في ذاته، بل إلى نوع من التحديث الذي لم يجلب على الناس نفعا، ولم يشعرهم بأي تقدم ملموس وانما جلب عليهم الضرر الشديد وزاد من احساسهم بالضياع ويرتبط بخيبة الأمل في مثل ذلك

---

1 - راجع تراث الإسلام - القسم الأول تصنيف شاخت وبوزوت، ص29 - 34 - 46 ترجمة د. محمد زهير السمهوري - الكويت - سلسلة عالم المعرفة 1978، ولمزيد المعرفة يمكن مراجعة القسم الثاني والثالث من عالم المعرفة.

النـوع مـن التحـديث الفاشـل والثـورة عليـه شـعور بـالتمرد والاحتجـاج علـى مصادره والممثلين لـه، اى على القوى الصناعية الغربيـة التـي لـم تكتف بجعل الشعوب الأخرى تابعة لها، بل ان مخترعاتها وأفكارها، وخططها في التنمية قد جرت عليه الشقاء والتعاسة.

ويقترن بهذا شعور آخر بالتمرد والاحتجاج على الطبقات "المتغربـة" داخل المجتمعات الإسلامية ذاتهـا، وهـى الطبقات التـي سـعت - سـواء بحسن نيـة أو مدفوعـة بأطمـاع أنانيـة - إلـى إدخـال تلك المخترعـات والأفكـار والخطـط إلـى بلادها واغراء الشعوب بتبنيها"[1]

وحـين يصـبح المـواطن البسـيط واقعـا تحـت تـأثير بـرامج "الميـديا" التابعـة لسلطات القمع فقد يسهل عليها اقتيـاده إلـى خـارج نطـاق التـاريخ، كمـا تسـتطيع هذه "الميديا" المزودة بارشيف اليكتروني بلمسة خفيفة على أحد مفاتيحه أن تبهر عالمـه وتجعلـه يـرى فـي دقيقـة واحدة مئـات الصـور المعدة باتقـان فـي مختلـف المجـالات، ولا يخـرج مـن عبـاءة هـذا الـوهم الاعلامـي الا بمـؤثرات بصـرية تسوقه إلى الاعتقاد بأنه والجميع يستمتعون بالرعاية الصحية والوظيفية، ويغيب عـن عقلـه أن "الميـديا" لا تعـدو عـن كونهـا فخـاخ منصـوبة توقـع الأغـرار بـين براثينهـا، لتمريـر اتفـاق مـع دولــة مـا، أو اللعـب علـى رأس قضـية جماهريـة، تستعمل في معالجتها لغة التضليل لا التوصيل.

وبما أن الابانة لغة: تعنـي وضـوح الموقـف، فذلك أمـر مسـتحيل لا تتعامـل "الميديا" معه، لا سيما إذا كانت المؤسسات التابعة لها تأخذ الجانب المضـاد:

"فبين مسعى استمالة الجمهور وعدم التصدي لمقبولاته، وبين تمشـية الحـال وكسب الحـال وكسب الوقت، تبتدع لغة التعميم الفارغة، وهـى"اللغـة" التـي لا بـد

1 - فريتس شتيبات (الإسلام شريكا. دراسات عن (الإسلام والمسلمين) ترجمة د. عبد الغفار مكاوي سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ابريل2004ص130.

من رصدها على أنها من أوضح سمات التردي والإنحطاط والانكسار المشين أمام واقع لم تكن فيه "اللحظة" عابرة، بل هى على الأغلب شهادة خاسرة وذل حيث الزمن يصبح لصالح الصهيونية في سياقات الواقع الدولي الراهن، إن لم يتم انتشاله فعليا ليصب في مجرى استعادة الأرض العربية، لا الركض وراء الخسائر المستجدة!! "[1]"

* * *

1 - د. محسن الموسوي (العرب والتحدي) الموسوعة الصغيرة، دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد سنة 1986 ص21و22.

الجهاد المفتـرى عليه

على ما يبدو أن الوقت لم يحن بعد حتى يدرك سدنة الأنظمة العربية أن دول الغرب - بلا استثناء - أدارت ظهورها لقضايا العالم الإسلامي العادلة، وأن رعايتهم الكاملة لأمن اسرائيل جعلتهم ينظرون بارتياح لبحور الدم الفلسطيني والعراقي واللبناني المتدفقة على جنبات الطرق وبقايا الأشلاء الآدميةالمدفونة تحت أنقاض المدن المدمرة.

لقد اتفقوا سراً وضمنيا على أن المقاومة المشروعة "لحزب الله" في لبنان، و: حماس" في فلسطين تعد ارهابية الهوية، وأصبح النضال ضد المستعمر لا كما أقره ميثاق الأمم المتحدة من حق الشعوب المضطهدة،ولكن كما أقروه هم (تماشيا مع وجهة النظر الأمريكية) يعد إرهابا وعدوانا على الأبرياء(!!)

يقترب من وجهة النظر هذه بعض "العقلاء"، ومن يفضلون - تخفيف البلاء - أن يكون لهم نشاط أطلقوا عليه اسم النضال المدني السلمي، وهو تعبير مهجن، بلا أجنحة، طيب القلب، منتهى أمله أن يرى أمريكا ذات يوم تضغط على اسرائيل أوحتى تهمس في أذنها بتخفيف حدة أصوات المدافع ولا تفرط في إطلاق صواريخها على الأبرياء.

وإذا شاءت أن تضرب ووجدت في الضرب قيمة تحقق بغيتها في التوسع واخضاع منطقة الشرق الأوسط تحت سيطرتها وبمباركة أمريكية فيمكنها تحقيق ذلك دون أن تكلف نفسها عناء الافراط في استخدام القوة وإطلاق الصواريخ، وما دام يمكنها الاجهاز على المقاومة، فقد يكون ذلك أفضل إذا تم بأسلوب بعيد عن الوحشية، وأن من مصلحة اسرائيل دوليا أن تكون نيرانها المكثفة لإزهاق الأرواح "خفيفة"، فالإرهابي الذي يقاومها يمكن ان تقضي عليه رصاصة ثمنها شيكل واحد، ولا داعي مطلقا أن تطلق عليه صاروخا من صواريخ طائرات الاباتشي الذي يساوي عدة الآف من الدولارات.

على منوال الشفقة وطلب الرحمة تبنت بعض الأنظمة العربية هذا الأسلوب متوهمة انها بذلك تساهم في تخفيف فداحة المصاب الذي يقع على ضحايا الصلف الصهيوني، ثم سرعان ما أصبحت لغة رجال الإعلام، وقد اشترك معهم في تناولها بعض المرتزقة من أصحاب الأقلام الذين لا هوية لهم ولا غاية في الحياة سوى أن يصيروا خدما لكسب رضى أصحاب الأمر والنهي، وقد انضم إلى هؤلاء من تبنوا هذا الموقف إما اقتناعا به، أو لإرضاء الممولين الغربيين.

التمهيد لاحتلال لبنان سبقته حملة نظمتها الصهيونية العالمية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في شتى أنحاء العالم صورت المسلمين بأنهم شياطين وأفاعي وخنازير وارهابيين يعملون ضد الخصائص المميزة لهوية الحضارة الغربية: الدين، اللغة، فصل الكنيسة عن الدولة، سيادة حكم القانون، التعددية الاجتماعية.

قبيل دخول القوات الصهيونية إلى جنوب لبنان راحت اسرائيل تستصرخ الغرب، وتوضح لشبابه وشيوخه أن الانبعاث الإسلامي يهدد مستقبل حياتهم، فمنذ السبعينات وهو يشق طريقه بإعتداد، ووصل ذروته في نهاية القرن العشرين. وتضيف اسرئيل أن قوة الانبعاث وجاذبية الحركات الإسلامية دفعت بعض الحكومات للعمل على "أسلمة القانون" ففي إندونيسيا أكبر الدول الإسلامية من حيث تعداد السكان أُدمجت أفكار وتطبيقات قانونية إسلامية في النظام القانوني العلماني، وفي باكستان خلال حكم الجنرال ضياء الحق بذلت جهود مضنية من أجل اسلمة القانون والاقتصاد، وطبقت حدود الإسلام، وبُني نظام يطبق الشريعة الإسلامية، وأُعلنت الشريعة على انها القانون الأسمى في البلاد.

ولكي تعمق مشاعر العداء ضد المسلمين صورت "الجهاد الإسلامي" على صدر صفحات جريدة "جيرو زاليم بوست" في شكل حية رقطاء تلتف حول خريطة العالم، وقد خرج من فمها لسان يقطر بالسم فوق بلدان العالم الموضحة معالمها على صدر الخارطة، واجتهدت مخيلة رسام الكاريكاتير في أن يجعل جسد الأفعى منقوشا ببقع سوداء على شكل الغطرة الفلسطينية، ثم كتب تحتها بخط بارز: "الجهاد الإسلامي"

جاء الكاريكاتير كتوضيح لمقال كتبه "بارت يور" يقول فيه: "إن الخطر الذي يتهدد العالم أجمع في القرن ال21 هو الجهاد الإسلامي الذي يتخذ من الارهاب وسيلة للقضاء على كل ما هو ليس اسلاميا من الجزائر إلى افغانستان عبر غزة والضفة الغربية ودمشق والقاهرة والخرطوم وطهران وكراتشي حيث يتم بذر جذور الكراهية من أقصى العالم إلى اقصاه الآخر"[1]

الجهاد الإسلامي الذي يقض مضاجع العنصريين الصهاينة ومن اتشحوا بأرديتهم، هو العقيدة التي رسخها الدين في قلوب المسلمين تجسيدا للعلاقة التي تربط بين المسلم وخالقه سبحانه وتعالى وبين المسلم واخيه الانسان، فهى سلوك حميد مبني على أسس الاخوة الصادقة، وليس على العداء والمشاحنة:**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** [الحجرات: 13].

ولا شك أن علاقة تنهض على هذا المستوى الراقي في السلوك لا بد أن تسفر عن وجود تعاون كافة الأخوة في الله:**{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [المائدة: 2].

ومن بين أعطاف الروائح العطرة تتجسد علاقة المسلم بغير المسلم في تحديد واضح ودقيق، فإذا رفع غير المسلم يده بالتحية والسلام والتعاون، وجب على المسلم ان يرد على هذه المعاملة بمثلها أو بأحسن منها، أما الذي يعتدي

1 - المرجع: محمد سلماوي (الحية الرقطاء والعجز العربي) مقال. جريدة الأهرام2سبتمبر2002.

على حقوق المسلمين أو يسئ إلى كرامتهم او اعراضهم، فإن الإسلام يأمرنا بالدفاع عن أنفسنا دون أن نكون نحن المعتدين:

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190].

وفي عام 1982 اجتاح الجيش الاسرائيلي جنوب لبنان وضرب بيروت بالصواريخ، فلم يكن أمام المقاومة الإسلامية التي فرض عليها القتال سوي أن تدافع عن أرضها وعرضها حتى دحرت فلول الجيش الاسرائيلي وأخرجته من البلاد يتخبط في هزيمته، غير أنه تمترس في نقطة على الحدود وظل يحاول من مزارع شبعا فرض سطوته على منطقة الجنوب اللبناني.

وفي يوليو 2006 عاد مرة أخرى لمقاتلة المسلمين آملا أن ينتهي في خلال أربعة ايام من السيطرة على لبنان حتى يتسنى لجيشه تحقيق خطته بغزو سوريا، ولكن المقاومة الإسلامية ازاء الدمار الذي ألحقه بالمدن والمدنيين راحت تذيق جنوده كؤوس الموت، ثم ما فتئ يدعي أنه لن يكف عن العدوان الا بعد ان يتخلى حزب الله عن أسلحته، وبعد أن يقضي تماما على شأفة المتدينين المتشددين.

وليس هنا مجال للمقارنة بين اعتداءات الصهاينة على كل من يمت للدين الإسلامي بصلة، وبين غزوات المسلمين في صدر الإسلام حينما كان المسلم يذهب في فتوحات السند وأطراف الصين وفرنسا وإيطاليا ليس بصفته مستعمرا باسم الدين، ولكن كان يذهب مبشرا بعالم تشيع فيه العدالة والرحمة والحق والتسامح.

وعلى عكس ما ذكر هنتنغتون من أن الأديان تصارع بعضها بعضا ولا تصنع سوى الحرب وقد غاب عن فكره أن الدين استُغل واستعمل كغطاء لنهب الأوطان واستغلال موارد الشعوب الطبيعية.

والدليل قديما نجده في الحملات الصليبية التي انطلقت من أوربا لاحتلال البلاد العربية، وحديثا قادته قوات التحالف الصليبي حتى استولت على أفغانستان والعراق بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبمباركة حاخامات اليهود الذين صاحبوا الجنود الاسرائليين المشاركين في العدوان على العراق وهم يرفعون في مقدمة الصفوف صفحات التلمود، داعين بإسم إله الحرب "يهوه" أن ينصرهم في حربهم على الإسلام والمسلمين.

كذلك فعل "بوش" تماما حيث وقف على رأس قوات المارينز يشعل في الجنود الحماس متشدقا بآيات من الانجيل لكي ينمي حاسة الارهاب في نفوس مقاتليه، زاعما أن الإسلام يحمل بين سطور ثقافته مشاعر عدوانية لحضارة الغرب وهو - الإسلام - يرفض الحياة التي نعيشها ويحارب منتجاتنا.

وتعقيبا على مزاعم "بوش" لم أجد أبلغ من الرد عليه إلا في حديث جاء على لسان مسؤول سعودي كبير في التسعينات:

"المستوردات الأجنبية هي أشياء جميلة وبراقة مثل التقنية العالية، ولكن المؤسسات الاجتماعية والسياسية غير الملموسة المستوردة من أي مكان آخر يمكن أن تكون هدامة.. اسألوا شاه إيران.... الإسلام بالنسبة لنا ليس مجرد دين ولكن أسلوب حياة.. نحن السعوديين نريد ان نتقدم ولكن ليس بالضرورة أن نكون غربيين".

إن إعطاء القيمة للدين هو الحصول بالمقابل على قوة روحية تزوّد الشعوب المضطهدة بقوة تحميها من التصدع، وهو القيمة المثلى في مواجهة أمم اخرى مهيمنة، ويلاحظ ويليام ماكنيل:

"أن إعادة توكيد الإسلام، مهما كان نوع شكله الطائفي، يعني رفض النفوذ الأوربي والأمريكي على المجتمعات المحلية، السياسات والأخلاقيات"[1]

1 - نقلا من صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون ص201.

ومع إصرار "بوش" العدائي فانه عندما يلتقي بحاكم عربي يحاول التمويه عليه مدعيا بأنه ليس ضد الدين الإسلامي وانما ضد المتشددين فيه.

وحقيقة الأمر أن المتابع لحلقات التاريخ والتطور يرى بجلاء عظمة الإسلام وهويقر ويؤكد على سمو الديانات السماوية ويؤمن برسالتها ويرى الأديان الأخرى يتنافى بعضها مع بعض، فاليهود ينفون المسيحية والمسيحيون ينفون اليهودية، أما الإسلام فسيظل الشكل الأكمل للديانات والمثل العليا:

"إننا اليوم نعيش مرحلة حروب دينية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وتدمير العراق على يد أمريكا، بل إننا نعيش نوعا من الاحتلال شبه العالمي يفرض علينا نظرته للحياة، تلك النظرة المبنية على آليات السوق وعلى أن يصبح فيها كل انسان عدوا للآخر، وبالتالي فقد أصبحت الحرب: الكل ضد الكل، وأصبح الدين السائد هو إلهية السوق التي تجرد حياتنا من كل معنى"[1]

يشهد واقع الحياة أن قادة المسلمين لم يكن بين مهام جيوشهم فرض الإسلام على الشعوب بقوة السلاح:**{فمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف: 29] بكل نصاعة ووضوح. كفل الإسلام حرية العقيدة ودونما ضغط أو الزام أحد برأي ما، وقد أوضح سبحانه وتعالى للعالمين:**{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}** [الكافرون: 6].

وفي هذا السياق، يلاحظ أن في بلاد الغرب عشرات الجاليات الأجنبية من أجناس مختلفة، ينعمون بالعيش ويتمتعون بحقوق المواطنة إلا المسلمين فانهم معرضون للإيقاف والتفتيش بأساليب مباحثية تظن انها تعمل على إعاقة وتخويف "الإسلام الحضارة المتحدية للحضارة الغربية".

المشاركون في هذه الأعمال العدوانية تربوا على الكتابات الإعلامية وتشبع وجدانهم بصورة أدبية وفنية معجونة بمداد من الضغائن وزرع الأحقاد حتى

---

1 - المرجع: حوار رجاء جارودي "المسلمون لا يحتكرون الصواب". مجلة أدب ونقد - يونيو 1993ص21.

أصبح الاتجاه اللاإنساني سائدا من خلال الهجمات العنصرية التي ألحقت بالمسلمين الأذى قبيل حادث البرجين في الحادي عشر من سبتمبر، وهي الأحداث المؤسفة التي وقعت على المسلمين الباكستانيين في بريطانيا وبرز لوبيان في فرنسا ومطاردة اليمين المتطرف في ألمانيا للمسلمين، ومن المثير للإنتباه أننا لم نر قلما حرا في بلاد تدعي الحريات والديمقراطيات يدين هذا العدوان، لأن وراء حملات التحريض كان يقف اللوبي الصهيوني في كل من فرنسا وانجلترا وجماعة "إيباك" في أمريكا.

وإذا عدنا إلى الذاكرة فسنجد أمريكا قد وقعت في أيدي المرابين اليهود، وحين وصلوا إلى ادارات المصارف أدرك الرئيس "توماس جيفرسون" عام 1787م مدى الخطر الذي يحدق بمستقبل بلاده فأعلن بصراحة قائلا:

"أنا أؤمن بأن هذه المؤسسات المصرفية أشد خطرا على حرياتنا من الجيوش المتأهبة، وقد خلقت بوجودها ارستقراطية مالية أصبحت تتحدى بسلطانها الحكومة، وأرى أنه يجب استرجاع امتياز إصدار النقد من هذه المؤسسات وإعادته إلى الشعب صاحب الحق الأول فيه"[1]

ثم أعلن الرئيس الأمريكي "بينيامين فرانكلين" في شجاعة عن مدى ما يشكله اليهود من خطورة على العالم حين حذر مواطنيه سنة 1789م قائلا:

"هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر هو "اليهودي".. أيها السادة، حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة، وحينما يجدون معارضة فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا كما يحدث للبرتغال وأسبانيا، ومنذ 1700 سنة وهم يندبون مصيرهم المحزن لا لشئ إلا إدعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم"[2]

---

1 - المرجع: وليام غاى كار (أحجار على رقعة الشطرنج) دار النفائس. ترجمة سعيد جزائرلي. ط الثالثة. بيروت ص127.

2 - المرجع: لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا "إسرائيل من الشتات إلى الاستعمار" مكتبة الإيمان المنصورة ط

قد لا يصدق أحد من أبناء اليوم أن هذه المواقف الصريحة والضمير الحي التي كان يتسم بها رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يتحول اللآحقون منهم إلى أبواق ويقعوا بين براثن الصهيونية العالمية حتى تحولوا إلى قطع صماء من الشطرنج، يحركها اليهود بحذق على أية رقعة يختارونها من سطح الأرض، وكلما أدلوا ببيان والتف حولهم عدد من الصحافيين، كانوا لا يدعون الفرصة تمر دون أن يحملوا على الارهاب والإسلام الذي انتشر بحد السيف، واضطهاد المسيحيين في مصر.

وغاياتهم الخبيثة أن يزجوا بنا في أقفاص الاتهام، وأن نقطع أعمارنا في الدفاع عن ذواتنا ومحاولة ابراء ذمتنا من كل ذنب ارتكبناه وكل ذنب لم نرتكبه، حتى نستهلك قوانا ونبدد طاقتنا، ولا يصدقوننا إلا إذا أعلنا عن الرضوخ والاستسلام لمخططاتهم، حينئذ نستحق الفوز بصكوك الغفران.

اللعبة اذن أصبحت مكشوفة، وشعوبنا العربية لم تعدغريرة، فأساليب القهر وسياسة التجويع وقطع المعونة الأمريكية عنا - لمصلحة الكيان الصهيوني - لم تعد تجدي.

من ثم. نود أن نوضح لمن التبس عليه الأمر، أو وقع فريسة للأكاذيب الصهيونية والتي تتبناها أمريكا، وتطالب - بين وقت وآخر - بتشكيل لجنة أو ارسال وفد من الكونجرس للتحقيق في هذه المزاعم.. نقول: ليس في تاريخ الفتوحات الإسلامية ما يشير من قريب أو بعيد بأن الدين الإسلامي انتشر بحد السيف، ولمن يريد التأكد من صحة كلامنا يمكنه الرجوع إلى سجلات الكنيسة المصرية فهى تشهد على ذلك:

أولى.

"فالإسلام لا يعترف بايمان المكره، ولا يكون اعتناقه الإسلام الا عن طريق الإيمان الحق والارادة الحرة والاقتناع المباشر، وأية شبهة قهر أو تدخل تفسد هذا التدين، وتجعل منه أمرا غير مشروع ولا يعتد به.

وعلى كثرة ما عرف تاريخ الإسلام من حكام الجور والاستبداد،الا أن أيا منهم لم يكن يجرؤ على المساس بهذا الأصل من أصول العقيدة الإسلامية، وهو أنه "لا إكراه في الدين... "[1]

وثمة حقائق أثبتها التاريخ، إن جدران الكنائس لم ترتفع وتدوي أجراسها في بلد مثل مصر، وهناك ما يزال ماثلا أمام العيان، فقد بنيت أول كنيسة في الفسطاط إبان ولاية "مسلمة بن مخلد" بعد عشرين سنة من قيام الفسطاط على أرض مصر، ثم اقيمت كنيسة مار جرجس في حلوان، وكنيسة الشمع الأرذثوذكسية في عقر حصن بابليون، وكنيسة (ابو قير)، ومئات غيرها أقيمت في العصر الراهن.

وتحت ظلال مبدأ إطلاق حرية العقيدة الدينية، تمتع الاقباط بممارسة الشعائر وآداء الصلوات وأصبح لهم نصيب في ادارة شؤون البلاد على نحو لم يحظوا به أيام القهر والاضطهاد في العصر البيزنطي والروماني.

ومن شواهد الفتح العربي الإسلامي لمصر الذي لم يكن بحد السيف ما أوجزه عمرو بن العاص حين قال مخاطبا الجنود:

"استوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا، وإياي والمشمومات والمعسولات، فانهن يفسدن الدين، ويقصرن الهمم

---

1 - المرجع: جمال بدوي (كيف دخل الإسلام قلوب المصريين) جريدة أخبار اليوم 15 مايو1999.

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر، واستوصوا بقبطها خيرا، فان لكم منهم صهر وذمة، فعفوا أيديكم، وفروجكم، وغضوا أبصاركم»**.

نسوق هذا الحديث بعد أن إذاعت وكالات الأنباء العالمية أخبارا تفيد أن قوات الجيش الإسرائيلي دمرت مدينة قانا بالعتاد العسكري المصنّع في أمريكا التي تدين بالمسيحية.

وبعد أن اجتاحت مدينة بنت جبيل اتجهت ناحية بلدة صور وبعلبك والقت القبض على ستة من المدنيين مدعية أنهم مقاتلون من حزب الله، ومضت في طريقها تدمر محطات المياه والكهرباء والكباري والجسور.

وفي اليوم الخامس والعشرين من بدء القتال حطم الطيران الاسرائيلي منازل المدنيين في منطقة البقاع اللبنانية على حدود سوريا وكأن اسرائيل ترسل للعرب انذارا باقتراب ضرب سوريا وجرها في المعركة.

وحين ارتفعت بعض الأصوات مطالبة بوقف القتال، قالت "كونداليزا رايس" ابنة القسيس السابق بعد أن زارت اسرائيل مرتين خلال شهر يوليو 2006: "يمكن النظر في وقف اطلاق النار بعد اسبوع".

أما أنتوني بلير رئيس وزراء بريطانيا وهو مسيحي آخر يؤدي بجدارة دور ذيل أمريكا الناعم فقد طالب في بداية شهر اغسطس 2006 من دول العالم أن تقدم مزيدا من التعاطف مع دولة اسرائيل.

هذا الدعم المعنوي واللوجستي دفع يهودا أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي أن يصعر خديه وينفخ أوداجه قائلا: "لن نتوقف عن الحرب الا بعد وصول قوات دولية تفصل بن قواته ومقاومي حزب الله"، كما ان امريكا وبريطانيا وقفتا ضد اصدار قرار بوقف القتال في اجتماع الدول الاوربية

الثمانيـة الـذي عقد فـي ايطاليا بعد عشـرين يومـا من غزو الجيش الإسـرائيلي للبنـان دون أن يسـتطيع تفتيـت قـوى "حـزب الله" أو يقضـي علـى طموحـه فـي تحرير بلاده، ومعنى وقف القتال والحال هذه فان ذلك يعني هزيمة اسرائيل.

إن هذه اول مرة في تاريخ الحروب التي تشنها اسرئيل ضد الدول العربية ومنذ ولادة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين أن تفاجأ براجمات صـواريخ "حزب الله" تدك مدينة "صفد" و"حيفا" و"نهاريا"، ويعلن الشيخ حسن نصر الله محذرا مسـاء يـوم الخمـيس 3أغسطس2006 إن لـدى المقاومـة المزيـد مـن الضـربات الموجعة وإذا أقدمت اسرائيل على قصف "بيروت" فإن صورايخ "حزب الله" ستدك جدران "تل ابيب".

لقد التقى الاسرائيليون مع امريكا في تنفيذ التاكتيكات العدوانية ونقل المعارك خارج حدودهما، ولكن "حزب الله" حطم هذه الخطط ليذيق الصهاينة رشفات من كؤوس العذاب، او بعض ما تعودوا أن يذيقوه للآخرين، وهم يتخبطون في الأخطاء الفادحة حين يعيدون صياغة المشاكل التي بينهم وبين الدول العربية ويحيلونها إلى صراع بين الموسوية والإسلام:

"والخطأ الأكبر الذي يمكن أن تقترفه دولة اسرائيل الآن هو أن تنسى أو تتجاهل أنها نفسها خطأ كبير وخطأ متعمد ولا يغتفر، الفكرة الأساسية لما أقصد أن أقوله هى أن جلب مجموعة من المهاجرين الأوربيين اليهود في منطقة تسودها أغلبية من السكان العرب المسلمين من أجل بناء دولة يهودية هو السبب فيما تشهده منطقة الشرق الأوسط من حروب وصراعات مستمرة منذ ما يقرب من قرن من الزمان، وما نراه الآن من تصعيد عسكري يدفع ثمنه الباهظ المدنيون، اسرائيل الآن في مواجهات مع حزب الله في الشمال ومع حماس في

الجنوب لكن عدوها الأزلي سيكون التاريخ نفسه"[1].

والتاريخ يسطر بالدم حروفا من النار، في اليوم الخامس والعشرين من بدء القتال، تدك طائرات الصهاينة بيوت المدنيين في منطقة البقاع اللبنانية على حدود سوريا، وكأنها تتهدها بالويل والثبور وتقول لها انها قادمة.

ولم نفاجأ بحركة المسيحيين الجدد وتكثيف جهودهم في أروقة مجلس الأمن، وبضغوط أمريكية أصدر المجلس قراره المخزي بايقاف اطلاق النار دون أن يذكر شيئا من حل لمشكلة مزارع شبعا المحتلة ولم يدن اسرائيل عن الجرائم التي ارتكبتهاولا عن الأسرى اللبنانيين المحتجزين لدى اسرائيل منذ نحو ثلاثين سنة، وإنما طالب بالافراج عن الجنديين اللذين أسرتهما قوات "حزب الله".

وعلى طريق مستقبل بناء كيانات شرق أوسيطة جديدة تزداد رقعة طموحات الولايات المتحدة اتساعا، خاصة في غيبة الأنظمة العربية التي لا تريد أن تفهم أن جلوسها على كراسي الحكم سوف تقتلعه - وهى لا تحرك ساكنا - العواصف المعبأة بأنفاس الصهيونية ومباركة المسيحيين الجدد، ومن لا يزالون بين وقت وآخر يحكون عن العسف الذي لحق بالشعوب التي خضعت لجيوش المسلمين.

ولن نتحدث عن قادة الفتح الإسلامي للسند والصين، ولن نذكر شيئا من مآثرهم، بل دعونا نتريث هُنيهة تحت سقف البيت المصري، بعد أن أصبح يتكون من آباء عرب وأمهات مسيحيات حتى ظهور الجيل الأول من الأبناء الذين ينتمون بعمومتهم إلى العرب وبخؤلتهم إلى القبط.

1 - المرجع: ريتشارد كوهين (إسرائيل خطيئة كبرى) جريدة أخبار اليوم 22يوليو 2006.

في هؤلاء وهؤلاء ذابت الفوارق العرقية وانصهروا في نسيج واحد، هو شعاع جديد من فجر ذلك التاريخ حتى اصبح ركيزة هامة في أسس قواعد الحضارة الإسلامية.

وحول ما أشيع عن المظالم فبعضها مغلوط وبعضها مغال فيه، ومن الحكايات المغلوطة ما يردده أعداء الإسلام، أن قسوة الحكام لطخت حياة الشعب بالدماء، وقد أنبأهم تاريخ الشرق أن تلك كانت دوما حال البشر:

"كما ان القرآن ومفسري هذا الكتاب المنزل من عند الله قدر لهم أن السلطان كان من نسل النبي، وأنه نائب عن الله، وان الصبر أول فضيلة ينبغي أن يتحلى بها المسلم، وأن الطاعة العمياء هى أهم واجبات الرعية"[1].

ولكن من حيث اندماج العنصرين المسلم والمسيحي فإنه لا يوجد في مصر تفرقة طائفية ضد الاقباط، وهذه حقيقة يؤكدها جورج يونج في كتابه (مصر) عندما يقول لا توجد هناك تفرقة من تلك التي تعاني منها الأقليات الضعيفة في أوربا، كما يذكر أن تاريخ الأقباط يكشف عن أنهم عانوا ضيما من أهل ديانتهم المسحيين الأرثوذكس، أو الكاثوليك أكثر مما عانوا من أهل وطنهم المسلمين، وإذا كانت هناك مظالم وقعت على الأقباط فلم يكن مبعثها الاضطهاد الديني:

"وانما العسف المالي، بدليل أن المصريين قد عانوا من هذه المضايقات بنفس القدر، ولا يعني اعترافنا بهذه المظالم، التسليم بأن أهل الذمة قد عاشوا حياتهم في ظل اضطهاد متواصل، فإن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فقد عاش أهل الكتاب يتمتعون بكل حرياتهم الاجتماعية والسياسية، وارتفعوا في وظائف الدولة، وتولوا المناصب الهامة، كما نعموا بحرية تنظيم جماعاتهم داخليا تحت

1 - المرجع: ادوار جيبون (إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) ترجمة محمد علي أبو درة جـ1 دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ص61.

رئاسة يختارونها في ظل الإسلام"[1].

وبخصوص ما يتعلق بمفسري كتاب الله ومن يملي عليهم استصدار فتاوي تربط السلطان بنسل النبي فان القرآن الكريم والتفسير بريئان من هذه الأباطيل، ولكن ذلك هو أسلوب من يستهدفون الإسلام ويحاولون طعنه في قرآنه وتزييف مصادره، وتزييف شخصية النبي ﷺ عن حقيقتها المعروفة من سُنته وسيرته وهديه.

وإذا كانت الأنظمة العربية - في السنوات الأخيرة - أقعدها العجز والإستسلام تحت معاول الصهيونية والمسيحية الجديدة، ولا تستطيع التصدي بايجابية، أو ترد على من يضعون الجهاد في سبيل الله تحت بند الارهاب، فان قبط مصر منذ خلافة الراشد عمر بن الخطاب قد رأوا الإسلام يساويهم، ويجعلهم إخوانا في كل شئ.. يذكرون أنه أسهم لهم في الفيء ولا يفرض عليهم الجزاء، فكان في ذلك باعث قوي لكثير منهم على الدخول في الإسلام، ولا سيما وقد طحن المقوقس عقيدتهم طحنا، وحطم عقيدتهم باضطهاده.

وفي ذلك. يذكر الأسقف "حنا النتيوس" - الذي شهد الفتح الإسلامي - أن جيش المسلمين كان يرافقه مصريون كفروا بالمسيحية واعتنقوا ديانة عمرو بن العاص.

* * *

1 - المرجع: د. قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في العصور الوسطى.

الحرية والعدالة الاجتماعية في الإسلام

هناك أسباب عديدة عجلت بتغير الأوضاع في مصر القديمة، أهمها تفاقم الخلافات وارتفاع حدة الصراع بين المذاهب المسيحية المختلفة، والغلو في مظاهر البذخ، وانتشار المسوح الدنيوية التي استبدت بحياة الأساقفة والقساوسة.

تلك كانت بداية تحلل الواقع القديم ليحل بدلا منه عالم جديد يحكم أطرافه التسامح والحب وكفالة العيش الكريم والحرية لمن يعيشون في أكناف الإسلام.

يضاف إلى جملة الفضائل الملموسة أن المسألة الدينية لم تعد منذ الفتح الإسلامي ميدانا للصراع الطائفي مثلما حدث في عصر الرومان مع المسيحية، ولم يكن المسلمون يحملون بذور المستعمرين، ولم يكن هناك من يجبرهم على التسامح الا خصال الدين الحنيف، فالقوة كانت في أيديهم بعد طرد الروم، وكان بامكانهم قطع كل شئ بحد السيف، ولكنهم تركوا أمور الحياة لمن يعالجها بالدين والعلاقات القائمة على الحسني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتبعا لذلك لا أحد من المسلمين اجترأ أو حاول اختراق عقيدة مسيحي واحد، وأن التاريخ يشهد للمصريين الذين تمسكوا بالمسيحية واستشهدوا بعد صراع دام مع روما وبيزنطة، فلا يمكن أن يتهمهم أحد بأنهم ارغموا على ترك دينهم واعتنقوا الإسلام.

لا يستطيع كائن من كان ان ينزع الوعى لحركة التاريخ عن مسيحي مصر، وقد ترامى إلى اسماعهم من قبل نبأ الحريات الدينية التي ظفر بها نصارى الشام من قبل أن يدخلوا إلى صحن الإسلام.

إن تعاليم الإسلام تحرص على محاربة العنصرية البغيضة وترسم لنا خطوات ايجابية يكرم بها الانسانية في شخص غير المسلمين وان تكفل لغير المسلمين حقوق العيش والتنقل والرعاية والمساعدة:

{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} [التوبة: 6] وجملة القول:

"إن علاقةالإسلام بالديانات السماوية في صورتهاالأولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي، وان علاقته بها في صورها المنظورة علاقة تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات عنها"[1].

ولكي نعرف المزيد من المسيحية في مصر لا بد من الاتصال بحركة الواقع وما كان يجري على ارض البلاد، فبوفاة الإسكندر المقدوني في الثانية والثلاثين من عمره كثرت الفتن والحروب إلى أن امست مصر ولاية رومانية سنة 146ق. م.

وعرفت المسيحية طريقها إلى قلوب المصرين والرومان فيها سنة 65م، وكان الصراع لا يزال مندلعا بين انصار الحضارة الإغريقية ومن كانوا يشيعون أفكار الاسكندر الأكبر، وعملوا جاهدين لصبغ الروح المصرية بالصبغة الهيلينية وبين الوطنين من أهل البلاد.

من المعروف ان كل ماض في حياة المصرين مقدس، وأى ماض يعود إلى الأصالة والأصالة تستوجب الإجلال والإحترام، وقد ترسخ فيهم هذا التقديس إلى حد بعيد الغور.

وسرعان ما بزغ نجم الأسكندرية، ولم تسيطر مسيحية في العالم كما سيطرت مدرسة الأسكندرية التي صارت العاصمة الثقافية للعالم المسيحي والوثني على السواء، ولقد تخرج في مدرستها اساتذة وعلماء صاروا في بلادهم اعلاما حتى ان بطريرك الأسكندرية كان يلقب (قاضى المسيحية في العالم).

---

1 - المرجع: د. محمد عبد الله دراز (موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها) مجلة لواء الإسلام فبراير 1958.

وفي السنوات الأولى لظهور الإسلام كان يسكن مصر طبقتين: الرومان ومنهم رجال الدولة والأجناد وبعض رجال الإكليروس، والأقباط يخالطهم بعض المولدين من اليونان وغيرهم من النازحين بالتجارة أو الخدمه او غيرها من أهل الشام واليمن والعراق والنوبة.

وبعد ما تبددت قوة المدن اليونانية وصارت دولة الأسكندر تتجزأ من بعده، ظهر سلطان الرومان، وصار العالم تسيطر عليه القوتين العظميين - آنذاك - الفرس والروم:

"آنذاك. كان المسيحيون جميعا قد اتفقوا اتفاقا عجيبا عندما رأوا هرقل وجهاده مع الفرس ذلك الجهاد المدهش، وكانوا يرقبونه وأنفاسهم خاشعة فى الصدور من عظم ما كان في نفوسهم من رهبة، فلما أن هزم الكفار وخلّص بيت المقدس منهم، وعلا أمر الصليب فرح المسيحيون بالنصر على اختلاف نحلهم من قبط وملكانيين، وكذلك اظهروا سرورهم جميعا بما حل من اليهود من النقمة"[1].

ثم سرعان مادب الخلاف بين المسيحين في مصر وقسطنطين أمبراطور روما، في ذلك الوقت كانت الدعوة المحمدية ينتشر عبيرها بالكتب التي بعثها رسول الله ﷺ إلى (هرقل) حاكم مصر الروماني و(قيرس)المقوقس.

كان الكتاب الذي وصل بيد "هرقل" خطت كلماته بعد اطلاع وفير على أحوال اقباط مصر وما يقع عليهم من ظلم واضطهاد، وبحكم انتقال العرب بالتجارة في البلاد الواقعة تحت سيطرت الدولة البيزنطية، اكتشفوا تفاصيل الخلاف بين أنصار الطبيعتين (الأريوسيين) و(الملكانيين) من اتباع الدولة البيزنطية.

1 - المرجع: الفرد. ج. بتلر (فتح العرب لمصر) مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ص155.

ثم أسقط المصريون عن هرقل مظاهر الاعجاب والتقدير التي اسبغوها عليه في سنواته الأولى من حكم مصر عندما حارب الفرس وانتصر عليهم.

في تلك الفترة من التاريخ لم يكن هرقل ولا دولة الروم التي يتبعها في نضج الدعوة المحمدية، وقد آثر المصريون التعامل معها ومحاولة تفهم تعاليمها.

ذلك كان حال أهل الشام وهم اخلاط من الآراميين والسريان واللأنباط واليهود وغيرهم ممن اضطهدوا على أيدي رجال هرقل، ولم يكن حظهم أفضل من أحوال المصريين حتى وصلوا إلى مفترق الطريق وأصبحوا لا يهتمون إذا كان على رأس بلادهم حاكما روميا أو عربيا، المهم من الذي يكفل لهم أمور العيش والحرية والعدالة؟.

كان حديث ذلك الزمان ولعدة سنوات تلت الحوار الذي دار بين المقوقس عظيم القبط في مصر وبين عباده بن الصامت حين حمل اليه رسالة النبى ﷺ فخوفه من جموع الروم وشدة بأسهم.

أجاب عبادة بايمان المسلم الذي لا يخشى إلا الله:

"يا هذا لا تغرن نفسك و تقوى عليهم فلعمري ما هذا الذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه. وان كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم، لأن ذلك اعذر لنا عند ربنا إذا أقدمنا عليه أن قتلنا عن آخرنا كان أمكن في رضوانه وجنته، وما شيء أقر لأعيننا ولأحب لنا من ذلك. وإننا حينئذ على الحسنيين. إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرت بنا. لأنها أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه**{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: 249].

وما من رجل إلا ويدعو ربه صباحا ومساءً.. أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى ارضه ولا إلى أهله وولده انما همنا ما أمامنا. وأما قولك اننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لأنفسنا اكثر مما نحن فيه".

بساطة عبادة بن الصامت في حديثه جعلت من كانوا هناك حول المقوقس يعيدون النظر في تأمل.. بساطة.. زهد في عرض الدنيا ومتعتها.. سمو روحي وأخلاقي رفيع، وبعيدا عن العصبية وحد السيف فتح الإسلام صدره لمن أراد الله له الهداية: (من يهديه الله يشرح صدره للإسلام... " ضاربا عرض الحائط بكل ما من شانه الارتباط والانحياز إلى قومه بالعصبية والباطل.

ويفرق المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بين حب الانسان لقومه، وهو أمر فطري، وبين الانحياز اليهم بالباطل حين ساله رجل: "

- يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟

أجاب:

- لا، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم"[1].

ولم يكن من المستغرب أن ترى بيزنطة في الإسلام دربا من العقيدة الأيروسية التى قرر مجمع نيقيه اعتبارها هرطقة فاسدة، معلنة عن كشف وجه العصبية البغيض الذي لا يرى أنوار الحقيقة تحت سطوع الشمس في كبد السماء.

كانوا لا يدركون أن كل نظام قائم على نصب الأوثان والشرك بالله يشتمل في نفسه على عوامل فنائه.. لا يعني هذا أن الجديد ينسخ القديم كله، بل ان الواقع يستبقي من القديم أفضل ما فيه فيدمجه في الجديد ويرفعه إلى أعلى، مثلما صنع الشرق حينما كان معلما لأوربا وأوقفها على العلوم والفنون، مؤكدا

1 - المرجع: رواه احمد وابن ماجه: المشكاة: 2: 596.

أن ما تلقفته أوربا كان العلم الهيليني في صورة عربية موسعة بعض التوسع.

ومهما قيل في شان الفكر وانه كائن لـه حضـور وكينونـة تتسع علـى مدى الآفاق، ومهما اختلف البعض حول كيفية الحصول عليه ومن اين جاء، فسيظل أصحاب النفوس الذكية والضمائر الحيـة يذكرون مـا بذلـه المسلمون فـي تقدير المعارف التي فتحت أمام مسيحيي الغرب طريق الحضارة.

ولكـن المشـكلة التـي يعـاني الغـرب منهـا الآن تكمـن فـي عـدم وجـود قيمـه انسـانية واحـدة فـي حضـارته قد تمكنـه مـن تفعيـل الأعمـال الانسـانية بعيـدا عـن اعلاء شأن المديات والصدام:

"جوزيف نيد هام" العالم البريطاني وعميد جامعـة كـامبردج مـسَّ طرفـا مـن جناح الحقيقية حين عبر عن ازمة الغرب بقولـه:

"إن الإلتزام بـدين معين يجعـل مـن الصـعب علـى المؤمن ان يتبـين معـاني الحضارات والديانات الأخرى بشكل اصيل"

الجناح الآخر من الحقيقة لم نقل أن العالم البريطاني أغفله ولكنـه سقط منـه سهوا، لذا وجب أن ننوه عنه بتلك المواقف المماثلة في جوهر الـدين الإسلامي اذ كان هو الوحيد والأسبق في مجال تبين معاني الديانات السماوية والايمان بما نزل على موسى وعيسى.

وما يسترعي النظر أن الغرب - يشايعه نفر من داخل الأوطـان العربيـة - يخشـى مـن عـودة الشـعوب إلـى التـزود مـن مناهلهـا القديمـة، فهذا بـزعمهم يعد هروبا إلى الوراء، وكأن كل ما كان (وراء) يخيف.

هـذا الموقـف المتـأثر بكتابـات المستشـرقين الـذين عاصـروا الاسـتعمار وصاحبوه في غزواته الميدانية والفكرية، هؤلاء الذين ترتعد فرائصهم ويخافون من عودة المسلمين للإستمساك بتراثهم، نقول لهم:

"إن التراث يشكل علاقة حركة بين ماضـي الأمـة وحاضـرها، وهذه العلاقة بجوهرها هى علاقة تفاعل بين حركتيين من تـاريخ الأمـة، حركـة بلورة منجزات الماضي وحركة هى في طريق الصيرورة لإنتاج المنجزات الأكثر تطورا وتقدما للأمة"[1].

* * *

1 - المرجع: حسين مروه. مجلة الطريق البيروتية، شباط 1979ص57.

الأصوليون بين مطارق أمريكا وسندان الحكام العرب

اتفق الأصوليون والعلمانيون على أن الأوضاع الاجتماعية المزرية ترجع اسبابها إلى غياب الديمقراطية، وان كانت ديموقراطية كل منهما تمضي بآليات نوعية مختلفة.

ومع ذلك فإن الحالة العامة تدفع مختلف القوى الناشطة على الساحة الإجتماعية إلى حشد مختلف طاقاتها ناحية التغيير، واحلال أنساق جديدة مكان واقع رث أُعلن عن موته منذ زمن طويل، ولكنه - حتى الآن - لم تستخرج له شهادة بالدفن تعلن عن موته رسميا.

الأصوليون الإسلاميون يأكدون أن القهر الإجتماعي أشاع الكبت وخلق نوعا من اللآمبالاه، وأنه - القهر - أدى إلى ارجاء اطلاق صوت الإنسان من على مئذنة اليقظة، ويتساءلون:

كيف ستسوى الأمور عندما تُصعِّد الديمقراطية أعضاء الحركات الإسلامية ليكونوا نوابا للشعب أو وزراء في حكومات قادمة؟

تصعد إلى الأذهان تجربة الجزائر الديمقراطية بوجهها الدامي، فعندما نجح الإسلاميون باجماع جماهيري تكالبت عليهم قوى الظلام في الداخل والخارج، وحدثت الصدامات اليومية والتى راح ضحيتها الالآف من خيرة شباب شعب الجزائر.

والمعروف أن أول من ساهم في وضع لبنات الترقي الإسلامي في الجزائر كانت على يد أعضاء (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 5مايو 1931، وتتلخص مبادئ الجمعية في الشعار المكتوب على صدر جريدة (الشهاب): الإسلام.. العروبة.. الجزائر.

وركزت الجمعية عملها في ثلاثة محاور:

أولا: تطهير الدين الإسلامي من البدع والخرافات والعمل على احيائه حسب مدرسة التجديد الإسلامي والدفاع عنه ضد أعدائه في الجزائر وهم: المبشرون، والمستعمرون، والعمل على تحريره من الاستعمار في المجالات الثلاثة التالية: المساجد - الأوقاف الإسلامية - القضاء الإسلامي.

ثانيا: التعليم العربي الإسلامي.

ثالثا: الوطن الجزائري بكل أطرافه ومراميه جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الإسلامي.

فماذا حدث لدعاة تطهير الدين من المبشرين والاستعمار قديما،.. وماذا حدث للدعاة الجدد وهم يصرون ان تظل الجزائر جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي الإسلامي؟

يقول الواقع - لا نحن - انه عندما صعدت حركة حماس عن طريق صناديق الانتخابات والاقتراع الحر وباشرته لجان أوروبية، وحين أسفرت النتائج عن صعود حركة (حماس) بالفوز على منظمة فتح في انتخابات عام 2006، وحينما تأهبت لتولي مهام ادارة شؤون الشعب الفلسطيني بعدد 76 مقعدا من مجموع المقاعد البرلمانية البالغ عددها 132 مقعدا، مقابل 43 مقعدا لمنظمة فتح، انبرت كل من امريكا واسرئيل بالرفض، وشنت الحملات الإعلامية ضد حركة(حماس) وأعضائها.

قوبل ذلك باستجابة فورية من بريطانيا وفرنسا وجر معهما منظمة الوحدة الأوروبية.. العالم القديم الذي لا يزال حتى اليوم يعيش على نزح مواردنا وابتلاع امتنا العربية قرر قطع المساعدات التي تتحول إلى سكر ولبن وزيت ومرتبات تصرف شهريا لموظفي قطاع الصحة والمستشفيات والتعليم.

جـاءت الضـغوط هـذه كمكافـأة للشـعب الفلسـطيني لأنـه مـارس حقوقـه الديمقراطية، وبإرادة حرة اختار ممثليه ومن يتولون الدفاع عن قضاياه العادلة.

بالنسبة للتجربـة الديمقراطيـة فـي مصـر عـام 2005 لا نـدعي أن الغـرب الذي يموه علينا، ويتشدق في زيف بأنه ينشد الديمقراطية لشعوب امتنا قد وجد نفسه في محنة حقيقية بعد فرز صناديق الاقتراع التي اسفرت عن فوز أعضـاء جماعـة الإخـوان المسـلمين المحظـورة فـى الانتخابـات البرلمانيـة، لأن ورقـة الضغط الأمريكي الديمقراطية التي تلعب بها على الحكام العرب، ليس القصد من ورائها سوى ابتعاث مشاعر القلق في نفوسهم والخوف من قدوم وافد جديد مهمته العمل على اقصائهم عن مقاعد الحكم، فلا يبقى أمام أحد منهم من سبيل سوى الاستجابة لمطالب الولايات المتحدة الأمريكية، وكلها في الحقيقة مطالب لا تستفيد هى من ورائها وإنما لابد ان تكون في مصلحة الكيان الصـهيوني. الأمـر الـذي ألهـب مشـاعر العـرب والمسلمين بالسـخط ودفعهم لإتخـاذ مواقف معادية، بعد أن قوبل وجودهم بالرفض وعدم الاهتمام.

هذه نتائج الديمقراطية في الشرق العربي:

"وبينمـا يهـتم أكـاديميون غربيـون قليلـون بتعامـل الشـرق الأوسـط مـع الاهتمامـات الحقيقيـة للنـاس فـإن الغـرب بوجـه عـام ينظـر إلـى هذه الإهتمامـات بوصفها تافهة حتى الآن لأنها تتعلق بأناس معينين يعيشون بعيدا"[1].

وبوضوح لا لبس فيه ولا غموض يصبح هذا اللون الديمقراطي غير مؤهل للعب دوره المتميز فـي خدمـة الشـعوب وانمـا تظـل برامجـه قابعـة علـى صـدر ورقة محترقة حتى لفح صهدها لم يعد يدفئ صدور البسطاء.

وعلـى الـرغم مـن الأحابيـل والفخـاخ التـي تعـدها لنـا الولايـات المتحـدة

---

1 - المرجع: د. احمد موصلي (أراء الحركات الإسلامية في الديمقراطية والتعددية السياسية) دراسة تحت الطبع.

واسرئيل، وعلى الرغم من انهما يتبنيان مواقف الإقصاء واستبعاد من يرونه غير مفيد للحوار معهم فإن موقف الاختلاف في الرأى يؤدي من جانبهما إلى خلق حالة غير مطمئنة، وغالبا ما تاخذ جانب التطرف والصرامة على الجانب الآخر:

"وعلاوة على ذلك فانه بينما يعتبر الأصوليين تعدديين سياسيا لكنهم اقصائيين دينيا، فان آخرين منهم ملائمين دينيا، لكنهم يوجهون برامجهم الإقصائية نحو الخارج، نحو الغرب أو الإمبريالية، حتى على المستوى العلمي يرى الأصولويين أن العلم والتكنولوجيا الغربية لا غبار عليهما من الناحية الإسلامية، بينما يستبعدهما آخرون بسبب افتراض الطبيعة غير الإسلامية فيهما.

والأكثر اهمية انه بينما يدعو غالبية الأصوليين إلى الديمقراطية التعددية ويجادلون بشأن ضرورتها من وجهة النظر الإسلامية، فإن المتطرفين يرون ذلك دليلا على الكفر"[1].

كما يرون أن عقيدة المسيحيين الجدد كل ما تهتم به تزيف الأمور لصالح اسرائيل وهى ترتدي قفاز الدين، لا تتورع عن ارتكاب اعمال التنكيل، وتختلف مع الجميع، ولا تجمع بينهم الا لتقتلهم بضمير يعبر عن افكار نابعة من مصالحها، وتعترف أن ما تقدم عليه من قتل وابادة له جذور في الدين.

وبالحق. إن الغرب هو أول من بادر بشن هذه الحروب، بالذات ضد العرب والمسلمين مع ان له مشاكل مع جيرانه في كوبا، وفنزويلا، وغيرهما في بلاد امريكا اللاتينية، وهى مشاكل تنذر بالعواصف وتهديد مستقبل أمريكا من الجذور، ولكنهم فضلوا ان يعطوا ظهورهم لتلك العواصف والتفرغ للقضاء

1 - المرجع: المصدر السابق.

على العرب والمسلمين، بضربات تصعق وهجمات تروع شعوب المنطقة.

يفسر (ير مسر) مساعد (ديك تشيني) للشرق الأوسط السر وراء ذلك العنف الأمريكي، قائلا:

"إن الاستخدام العنيف والمفرط للقوة هو هدف في حد ذاته لأنه يقنع الجميع بأن أى معركة مع امريكا أو اسرئيل هى الانتحار بعينه".

أليس ذلك تطرفا وارهابا؟

في مصر كان سيد قطب يقرأ المستقبل في الحاضر، وشرع في تعميق الاتجاه الأقصائي مؤكدا أن الأنظمة الغربية تعيش على تزييف التاريخ والواقع، وكانت الأصولية في زمانه تستبعد التعددية الحزبية، ولم يستطع التفريق بين العداء للمادية والصهيونية، وكل أشكالهما الوافدة من الخارج وبين قوانين الأنظمة المحلية غير المقدسة، ولا بد لمن يلتزم بالقانون الإسلامي مراعاة أن يكون نابعا من الشعب لا أن يكون واجهة رسمية تدير الدولة من ورائها شؤونها الدنيوية:

"ويرى قطب أنه نظرا لأن طاعة الحكومة غير مطلقة فإن الناس يجب أن تثور عندما تنتهك أى حكومة تعاليم القرآن لأنها حينئذ تفقد شرعيتها، وهكذا فإنه بالنسبة لقطب تكون السيادة النهائية محفوظة لله تعالى، بينما يكون تطبيقها البشري حقا وواجبا شعبيا"[1].

وإذا كان بعض المفكرين يتعاملون مع أرآء الأصوليين كنوع من وجهة النظر السلبية، فإن أرآء كثيرة في الحياة لم يجسدها رجال الدين فقط بل جسدها فلاسفة كثيرون في كتاباتهم:

---

1 - المرجع: المصدر السابق

"فهذا فيثاغورث الذي حاول أن يميز الخير من الشر فقال أن "مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل، ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة" واعتبر الفيلسوف ابقراط أن "المرأة هى في خدمة البطن" وصرح ارسطو بقوله "الأنثى أنثى بسبب نقص معين لديها في الصفات" واعتبر أن النساء أميل إلى الشر منهن إلى الخير" أما سقراط فلم يجد حرجا في الطلب من الزوج أن يقرض زوجته لأصدقائه، ودعا أفلاطون "إلى مشاعيةالنساء كما تتداول الحاجيات"[1]".

إن هذه الأساليب، ومع افتراض أنها - في زمانها - تخلص النية في طلب الحصول على سعادة الانسان، فذلك يدفعنا لسؤال: هل الولاء للرجل والمرأة والمحلية والأقليمية أقوى من الولاء لله سبحانه وتعالى؟.

كل الأسئلة الأنثروبيولوجية عن وضع الانسان في الكون والتاريخ لا يمكن الاجابة عنها في ديانات التوحيد الا بالرجوع إلى الله، في اللاهوت المسيحي جعل الله جزءاً من قدراته في شخص السيد المسيح، وفي الإسلام كان "الخليفة" هو من يباشر تطبيق تعاليم الله على الأرض.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 31].

لو كان الانسان مجرد كائن مادي، كما تزعم النظرة القديمة، لكان من المعقول أن نتخذ أشياء مادية أبسط كالآلات نماذج للسلوك البشري، فلكل آلة قوة دافعة تشغلها.

1 - المرجع: فرحان صالح (جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث) رؤية نقدية. دار الحداثة. بيروت. ط أولى سنة 1983ص46.

"علماء النفس في النظرة القديمة يتفقون على أن الغرائز والانفعالات هى تقود الانسان، ولكنهم يختلفون بصدد تحرير الغريزة الأساسية، فبعضهم مثل هوبز (Hobbess)، يزعمون أنها الخوف من الموت، بينما يقول مالثوس (Malthus) أنها غريزة الجوع، وفرويد (Freud) يقول إنها غريزة الجنس"[1].

وعندما دبت اليقظة في العقل الانساني. بدأ يفكر في مصدر الحياة، وكانت فكرة التجسيد إحدى الوسائل للتعرف على الله، وقد سبق البوذيون المسحيين فى الإعتقاد بعقيدة الحلول، وإذا كانوا يؤمنون بأن بوذا ليس انسانا محضا بل أن روح الله قد حلت به وكما يعتقد بعض المسيحيون أن المسيح شخصية ثنائية: لا هوتية وناسوتية:

"وإن شخصية اللآهوتية حلت بالناسوت، وتسربت هذه العقيدة أيضا إلى "مدعي التشيع) فقالوا بها فيما يتعلق بعلي بن أبي طالب، بل ذهب بعض البوذيين إلى القول بأن بوذا كائن لاهوتي هبط إلى العالم لينقذه مما فيه من شرور"[2].

واليوم يعتبر الرئيس جورج بوش نفسه مسئولا للدفاع عن المسيحية ومحاربة كل من تسول لــه نفسه أن يعتد بدينه، وقد عبر هنتنغتون عن هذه الحال مؤكدا: إن صراعا ثقافيا واديولوجيا ودينيا هو الذي فرض على الولايات المتحدة وبريطانيا أن يعدا لحرب شاملة على المسلمين.

---

1 - المرجع: روبرت م. أغروسن وجورج ن. ستانيور (العلم في منظوره الجديد. سلسلة عالم المعرفة. الكويت فبراير 1989ص79.

2 - المرجع: لمزيد من التفاصيل. انظر: أ - حامد عبد القادر: بوذا الأكبر ص96 و120 و130. ب - د. احمد شلبي: المسيحية ص 115 - 117. ج - د. احمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج 2 ص 128 وما بعدها.

ويخـدعنا بـوش عنـدما يـنفخ فـي أبواقـه مـدعيا بأنـه لا يعـادي الإسـلام والمسلمين، وتنتشر علـى صـفحات الثقافـة الغربيـة - فـي محاولـة للتغريـر بنـا - مقالات تدعي أن الحملات الصليبية انتهت منذ زمن ويتناسون فـي نفس الوقت ما تقوم به الجماعات التبشيرية لتنصير شعوب افريقيا وآسيا بدعم مالي يتجاوز المليارات من الدولارات مساهمة من أصحاب شركات النفط الغربيين.

وفي مجـال الاعتـراف وإبـراء الضـمير مـن الجـرائم التـي ارتكبـت فـي حق الأوطان المسلمة، يعترف أحد المبشرين قائلا:

"إن مـن أكبـر الأخطـاء التـى كنـا نرتكبهـا أثنـاء حملاتنـا التبشـيرية فـي هـذا الجزء من العالم هو أننـا كنـا نتقدم إلـى النـاس ولـدينا شبه اقتنـاع بـأن رؤوسـهم خالية من كل معتقد ديني آخر بفضل ما تشبعنا به من غطرسة غربيـة، ثم إننـا كنا نقدم لهم "الله" وكأنه غربي بفعل اقتناعاتنا بأن كل شئ في هذا الوجود هو غربي، أو أنه يجب أن يكون كذلك.

هــذا ولقــد اســتطاع الغربيــون أن يقنعــوا العــالم بــأن التصــرف الحضــاري الصــحيح هــو فــي تمــثلهم، ومــع هــذا فهــم يمارسـون فــي حــق البشـرية كلهــا أعنــف صــور الاســتغلال، وأفظــع مظــاهر الارهــاب، أمــا أعنـف صـور الاسـتغلال فتبـدو جليـة كـالرمح فـي اسـتئثارهم بمـوارد الـدول الناميـة بشـكل يبعـث علـى الاشـمئزاز حيـث يبـرز الشـكل الـديمقراطي للكـرة الأرضـية علـى النحـو التـالي: 500مليـون غربـي يعيشـون فـي أبهـى صـور التـرف بينمـا نجـد علـى الطـرف الآخـر حـوالي الأربعـة مليـارات مـن البشـر في مجاعة وفقر يبعثان على البكاء"[1].

1 - راجع تعليق الدكتور فهد ألحارتي، على كتاب روجيه غارودي حوار الحضارات - مجلة اليمامة - العدد 647 - 1981 السعودية، الرياض.

ولا تـزال تسـدد الطعنـات للاسـلام مـن قبـل قـوي اليمـين الأمريكـي البروتسـتانتي حليـف الصـهيونية العالميـة، ومـن ادعـوا ان فكـرة "العهـد القديم" مكمل وجزء هام من "العهد الجديد" وأنهما - معا - يشكلان تراث الحضـارة الغربيـة، واقصـاء حلقـات الحضـارة الإسـلامية، مـع انهـا قامـت بـدور تفعيلـي، ولـولا العلـوم التـي انشـأتها والتـراجم التـي حققتهـا لكـان الغرب لا يزال موغلا في ظلام القرون الوسطى.

ومـن مفـردات أسـاليب الاتهامـات المعبـأة فـي سـلة خاصـة بمنطقـة عـرب ومسـلمي الشـرق الأوسـط، "الديموقراطيـة"، دائمـا ينحـي الغـرب علينـا باللائمـة مـدعيا فـي "صـيغة اتهـام" ان العـالم العربـي والإسـلامي غيـر مسـتعد لقبـول الديمقراطيـة والتعدديـة، ونسـوا أن المسـلمين أول مـن طبقـوا نظام الشورى في الإسلام.

وبعمـاء وعجرفـة يتوهمـون أنهـم يأخـذون بأيـدينا ليعلمونـا الديمقراطيـة ويضـربون لنـا الأمثـال - فكـرا وتطبيقـا - بمـا يقدمونـه لشـعب العـراق، ومـا سوف تسفر عنه النتائج من خير بعد أن ينزعوا سلاح "حزب الله".

وبصـراحة يعلنـون عـن عـدم تفـاؤلهم حـين نعـود إلـى حكـم (الشـورى) وحتـى لـو قمنـا بأسـلمة الديموقراطيـة فـلا شـئ مـن هـذا القبيـل يـريح أعصـابهم.. مـا يـثلج صـدورهم تناولنـا للديمقراطيـة فـي ثوبهـا الغربـي، والا سـنكون كمـن يحرثـون فـي البحـر فلـن يضـرب لهـم جـذر فـي القـاع، ولـن ينبت لهم على السطح برعم.

وكانـت الجمـاهير الراغبـة فـي الخـلاص مـن ديموقراطيـة السـلطة تحـيط ديمقراطيـة الغـرب بالشـك والظنـون، وعمـل الأصـوليون رغـم القيـود المفروضـه علـى خطـواتهم بشـكل التحـامي مـع قضـايا الجمـاهير، وبخبـرة أكسـبتهم نضـوجا يضـاف إلـى رصـيد كفـاحهم النضـالي، ومـن ثقافـة عربيـة

وتــراث حضــاري، أضــاء جنبـات العــالم خاضــوا المعركــة الانتخابيــة عــام 2005، وجــاءت نتائجهــا مثــل صــاعقة أصــابت القــابعين وراء كراســي الحكم بالروع.

وبـدات الأقنعـة تتسـاقط عـن وجـود الأدعيـاء ومـن زيفـوا إرادة الشـعب لأكثــر مــن سـبعين عامــا، وتحديـدا منــذ ثــورة 23يوليــو1952، ثــم إن مــا جــرى خــلال معركــة الرئاســة المصــرية ومعــارك الانتخابــات البرلمانيــة أعطـى دلالـة جديـدة ووجهـا مضـيئا مـن مسـتقبل النضـال السياسـي وتهميشـه لرؤوس كثيرة من التابوهات.

ولـو كـان للحـزب الـوطني رئيسـا غيـر رئـيس الجمهوريـة لمـا حصـل علـى صـوت واحـد، ولـو كـان لــه نائـب يجلـس باسـمه تحـت قبـة البرلمـان، فإن هذا يضاعف من حجم المسؤلية على نواب الشعب:

"وعلـــى الإخـــوان" أن يـــدافعوا عـــن مصـــالح الفقـــراء الاقتصـــادية والاجتماعيـة، والا يتخلـوا عـن الضـعفاء والمهمشـين مهمـا كـان الـثمن، لأن النيابـة هـى عـن الأمـة جميعهـا، وهـى امانـة ينبغـي عـدم التفـريط فيهـا، ومـن ثـم فكـل عمـل يضـر الفقـراء مثـل تغييـر قـانون الإسـكان، أو إلغـاء الـدعم، أو المزيـد مـن الخصصـة والعولمـة، أو فـرض الضـرائب أو زيـادة الأعبـاء، أو إلغـاء مجانيـة التعلـيم.. إلـخ مـن واجـب "الإخـوان" التصـدي لهـا بطريقـة حقيقية، وليس لمجرد تسجيل موقف"[1].

هــذا مــن جانــب، ومــن جانــب آخــر عالجــت الجماعــات الإســلامية الاخـتلاف الـذي تفشـى حـول تبنـي اطـار فقهـي ونظـري يسـمح لأعضـائها بــأن يلعبـوا دورا محوريـا علـى أرض الواقـع، وصـياغة مشـروع "للإسـلام

1 - المرجع: د. محمد مورو (ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق، مكتبة جزيرة الورد. المنصورة - ط أولى 2006ص171.

السياسي على قواعد وأسس جديدة".

التعديلات التي أخذ الأصوليون بها أحدثت طفرة على مستوى العمل السياسي، ومع انهم ليسوا حزبا، وأن جماعة الإخوان المسلمين لا تزال تعامل على انها من القوى المحظورة نشاطها بحكم القانون إلا أن أعضاءءها يتكاثرون.

نحن إذن أمام مولود شرعي تبنته الجماهير منذ حوالي قرن من الزمان، وإن كان المسؤولون يصرون - حتى الآن - على عدم استخراج شهادة ميلاد له.

والسؤال الذي يطرحه عقلاء الحزب الوطني على لجان الأحزاب: أيعقل أن تمنح فرصة حق العمل الحزبي لمن يعتقد فيهم أنهم الأعداء الرئيسيون، والمتوقع منهم أن يسعوا لسحب البساط من تحت أقدامهم؟.

"وكيف يمكن أن يحدث تغيير سياسي حقيقي تحت ظروف التوتر والاقصاء بين السلطات والمعارضة؟.. هل تعتقد الحكومات أن بإمكانها القضاء على ظاهرة اجتماعية متجذرة بعمق في الهيكل الثقافي والحضاري للمجتماعات"[1].

يؤدي التأسيس على بناء قواعد سلمية للسلوك الديموقراطي إلى نقل السلطة إلى قوى قد تكون أكثر ديمقراطية واكثر تمثيلا للرأى العام، ولكن الأنظمة التي تاخذ في ادارة دواليب أجهزة الحكم من التراث قشوره، وتطلي واجهتها بمظاهر الإسلام لا تكون مستعدة للتعامل مع من يسعى لتوظيف هذا التراث واستيعابه، خاصة وان الحركات

1 - د. فواز جرجس........... دراسة تحت الطبع.

الإسـلامية لا تريـد أن تسـقط مـن الحيـاة أهـم حلقـة رئيسـية مـن تـاريخ الفقـه الإسلامي والفقه السياسي.

وحتـى لا يشـجر الخـلاف ويـؤدي إلـى مواجهـات قـد تـراق علـى جوانبهـا الـدماء، رأت بعـض الحركـات الإسـلامية "حفاظـا علـى الأوضـاع الراهنة" أن تشارك وتدعو للتعامل مع السلطات الحاكمة:

"ومـن الأمثلـة علـى ذلـك الحركـات الإسـلامية فـي الـيمن ولبنـان والأردن والكويـت، وأمـاكن اخـرى اختـارت اسـتراتيجيات سـلمية وايجابيـة ورفضـت المواجهـات باهظـة الـثمن، مـع الأنظمـة والحكومـات، حتـى بـرغم وجـود خلافـات جوهريـة مـع النخـب حـول جـدول أعمالهـا أو مبادئهـا السياسـية والأديولوجيـة، يبـدو أن قيـادات هـذه الحركـات قـد قبلـت بقواعـد اللعبة للحيلولة دون المخاطرة باستقرار الوطن والناس"[1].

فـي مصـر جـرت قواعداللعبـة علـى وجـه مختلـف، إذ توثقـت العلاقـة فـي جـوار مصـيري يـربط بـين عـدة أطـراف يفتـرض أن لكـل واحـدة منهـا وجهـا مـن النشـاط الاجتمـاعي المختلـف، وعلـى الـرغم مـن التبـاين الـذي يميـز بينهـا الا أن وزارة الداخليـة اسـتطاعت أن تـربط وتنسـق الجهـود بينهـا وبـين وزارة الأوقـاف والأزهـر وأجهـزة الإعـلام، الجميـع يوحـدون الجهد بحيـث يخـرج الخطـاب الاعلامـي سـواء منـه المنشـور علـى صـفحات الجرائـد أو المـذاع علـى منـابر خطبـة يـوم الجمعـة مهاجمـا السـاعين لمـلء صـدور البسـطاء بصـور مـن حيـاة السـلف الصـالح واسـتعمالها لقلقـة الأوضاع والانقسام الاجتماعي.

---

1 - المرجع السابق: د. فواز جرجس.

بعض من كتبوا في تعميق هذا الإتجاه رموا الجماعات الأصولية بالتخريب، مع ان جماعةالإخوان المسلمين تركز منذ باكورة ظهورها على تنمية النشء بالخلق القويم والطهارة المتعلقة بالجسد والروح.

لعلنا نتبين ذلك من الرسالة الأولى للمرشد العام للأخوان المسلمين الشيخ حسن البنا (1906 - 1949) الصادرة في 20 شعبان 1351هـ (الموافق 19 من ديسمبر سنة 1932) عقب انتقال الدعوة من الإسماعلية إلى القاهرة، وتتضح خطة العمل فيما يلي: -

- سلامة الاعتقاد والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب والسنة.
- الحب في الله والاعتصام بالوحدة.
- التأدب بآداب الإسلام الحنيف
- تربية النفس والترقي إلى معرفة الله وتفضيل الآخرة على الدنيا.
- الثبات على المبدأ أو الوفاء بالعهد.
- الاجتهاد في نشر الدعوة الإسلامية بين حلقات الأمة ابتغاء وجه الله.
- حب الحق والخير أكثر من أي شئ في الوجود.

هذه الخطوط العريضة لمولد البرنامج العام لجماعة الاخوان المسلمين، فيما بين ما هو خاص بأعضاء الجماعة وبين ما يمس جوهر العلاقة بالواقع الداخلي وما يمس حدود الله.

وكما راعى الشيخ حسن البنا أن تهتم "الجماعة" بدعم وتنظيم العلاقة بين الأفراد وطبقات الأمة اهتم بأن تكون الأنشطة الداعية

لحركـة الجماعـة غيـر قائمـة علـى حركـة السـوق والـدخول فـي حلبـة المنافسـة، وعنـدما رأى بعـض الأعضـاء أن ينـزل باسـم الإخـوان فـي الميـدان الاقتصـادي بحجـة منافسـة المـال اليهـودي والاجنبـي الـذي كـان مسيطرا فـي بعـض النـواحي علـى المصـريين ويضـع فـي قبضـته الشـؤون الاقتصادية والسياسية للوطن، فإن الشيخ البنا لم يوافق الا بشرطين:

الأول: عـدم الخلـط بـين نشـاط الـدعوة والنشـاط الاقتصـادي لا فـي الشـكل ولا فـي الموضـوع بمعنـى الا تكـون هنـاك شـركة تجاريـة أو مشروع اقتصادي تحمل لا فتة أو شعار الاخوان المسلمين.

الثاني: صـحيح المـال لازم للـدعوة وةالـدعوة محتاجـة للمـال، ولكـن الـدعوة شـئ فـي نظامهـا وتطبيقهـا والمـال شـئ آخـر فـي نظمـه وطبيعة دولابه.

تلـك هـى واحـدة مـن الجماعـات الإسـلامية التـي اجتمعـت مختلـف الأجهـزة لمحاربتهـا والتنديـد بمواقفهـا وهـو موقـف يـرهص بعـودة حمـلات القمـع المشـهورة عقـب قيـام حركـة الضـباط عـام1952 وتفريـغ مضـامين الديمقراطية من أطرها والزج باعضاء الجماعة داخل السجون.

إن استخدام العنف السلطوي ضد الحركات الأصولية لا نظير لـه:

"وان اسـتخدام العنـف مـن قبـل الجماعـات المتطرفـة لـيس نظريـا فـي الأسـاس، ولكـن نتـاج للتـاريخ، إن المتطـرفين الإسـلاميين لـم يرتكبـوا أعمـال عنـف بسـبب نظريـاتهم، لكـن الأحـرى أن نظريـاتهم التـي تبـرز العنف قد تم اشتقاقها من العنف الذي تعرضوا لـه"[1].

1 - المرجع: د. احمد موصلي (آراء الحركات الإسلامية في الديمقراطية والتعددية السياسية) دراسة تحت الطبع.

وليس أمامنا من سبيل سوى القضاء على أفكار التشرذم والشعوبية البغيضة وإجلاء القواعد العسكرية والعودة إلى الأصالة العربية، ولكن بطريقة معاصرة تحافظ على التراث وتستفيد من العلوم الحديثة بطريقة لا تجعلنا نفرط أبدا في علمائنا من الشباب حيث تكشف إحصائيات أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا أن اكثر من 450ألف مواطن من حملة المؤهلات العلمية العليا هاجروا إلى الغرب خلال نصف القرن الماضي وبرز منهم 600 عالم من ذوى التخصصات النادرة في الهندسة النووية، والفيزياء النووية، وفي الكيمياء وعلوم الفلك والفضاء، والبيولوجيا والميكروبيولوجيا، وغير ذلك

هذه مجتمعة وحكم الشورى إذا تحققوا انتفت مشاكل المجتمع وأصبح النسيج الاجتماعي لا رتق فيه ولا رثاثة.

* * *

الصور المسيئة

كشفت الصور المسيئة عن أزمة العقل الأوروبي، وان الأوروبيين عندما لا يتعاملون مع نواميس الحياة يظهرون في حالة من الشلل العقلي مما يعيقهم عن فهم كثير من عناصر الثقافة العربية الإسلامية وثوابتها الكبرى لدرجة أنهم حين تعاملوا مع حالات الغضب التي اعترت نفوس المسلمين نظروا اليها كموضوع تجاوز حدوده لدرجةانه صار غير مبرر ولا مفهوم.

ربما لأنهم ألفوا في حياتهم ألوانا من التعبير، فيها من إعلاء شأن اللذة وتقديس الجسد، وفيها من الخصوصيات الفردية ما تنأى عنه الذائقة الجمالية للشرقيين.

ومن المنابع التي نهلوا منها فكريا وثقافيا اعتبروا أن من حقهم تناول رسولنا ﷺ بشئ من النقد الساخر ووضعه في صور مسيئة، ولعلنا لم نجاف الحقيقة المرة إذا قلنا أن هذه ليست الخطيئة الأولى في حياتهم، ولكنهم تهجموا - من قبل - على حياة الرسل والأنبياء والأديان تحت مظلة من القوانين المدنية.

لقد ظهر ذلك جليا حينما هاجمت أقلام الصهيونية المسيحية خاصة في أوربا الغربية، وبعد تصاعد حركة الشباب في 1968، وكان شعارها: "من الممنوع أن تمنع" ومع قناعة مفرطة أفضت بهم إلى عدم الاعتراف بسلم قيمي ولا أخلاقي ولا ديني، ولا أديولوجي، ولا حضاري، ولا أي شئ يتسبب في تجميد ممارسة الانسان لحريته.

فكان الهجوم على السيد المسيح شخصيا، والمسيحية كدين، وما كاد الهجوم تخف حدته ويخفت صداه حتى اندلع - حديثا - ضد المسلمين ورسول الله ﷺ.

حمّلوا الإسلام أوزارا لم يقترفها.. وضعوا الرسول في صور مسيئة.. في بداية الهجوم، وقف بوش وشيراك وبابا الفاتيكان ضد هذه الحملة البذيئة..

أكدوا: "إن حريةالتعبير يجب أن تتضمن دائما احترام معتقدات الآخرين".

ثم سرعان ما انقلبت الأمور رأسا على عقب، من تابعوا حملة العداء المسعورة ظنوا انها وليدة تلك الساعة.. من يقرؤون أخبار الأيام توصلوا إلى أن رجال الدين الكاثوليك في إيطاليا خلال القرن الخامس عشر الميلادي قادوا بأنفسهم حملة شعواء ضد الإسلام.

ولكن من يبحر بين ضفاف الحياة والتاريخ سيكتشف الجراح الغائرة في جسد المسلمين جراء الطعنات التي سددت إلى صدورهم منذ انعقاد مؤتمر "فيينا"1311م الذى دعا اليه وترأسه البابا "كليان" الخامس وفيه استقر رأي المسيحيين المتعصبين على إنشاء مدارس دينية في برلين، وبولون، وإكسفورد، لتدريس اللغة العربية والعبرية والكلدانية لتخريج قوى وأجيال تستطيع تنصير المسلمين وتشويه دينهم ومسخ أبعاد الحق والخير فيه.

منذ تلك السنوات البعيدة كان شغلهم الشاغل تفعيل القرارات التي أسفرت عنها مؤتمراتهم السابقة واللاحقة، بينما لبث المسلمون ملتزمين بتعاليم دينهم السمحاء والايمان بموسى وعيسى.

ومن باب تفعيل مخططاتهم رأوا من الأهمية القيام بشحن نفوس مواطنيهم بروح العداء من خلال ما تفرزه أقلام مدربة على اشعال مشاعر التطرف والعداء لكل من يمت للإسلام والمسلمين بصلة.

النماذج المطروحة على الساحة الإعلامية - المقروؤة والمسموعة والمرئية - جد كثيرة، من مظاهر ذلك ما نشر على صفحات مجلة تايم الأمريكية في يونيو 2005، أي بعد أن أحكمت الولايات المتحدة سيطرتها على العراق وأشاعت فيه الفساد والإنقسامات الطائفية، وأعطت للموساد الإسرائيلي حرية الحركة والإقامة والانتقال بين اربيل وكركوك والموصل وباركت عقد الصفقات عن

طريق المخابرات الإسرائيلية مع من لا دين لهم، لتنفيذ عمليات قتل يتهم فيها الشيعة السنة، وعمليات قتل يتهم فيها السنة الشيعة.

نعود إلى موقف أمريكا التي تدعي من قلب قواعدها في العراق ودول خليجية أنها معنية في المقام الأول بمحاربة الإرهاب، وهو ما عبرت عنه مجلة تايم ذات الميول الصهيونية بقولها:

"إن الحرب على الإرهاب هي حرب طويلة جداً، لن تحسم في معركة هنا أو هناك، وأنها ستستمر لأنه عبارة عن مرض تحتويه الثقافة العربية والإسلامية، وهى مزيج سام من القمع والفساد وعدم التسامح والتعصب، تغذيه أنظمة ديكتاتورية متلهفة على أن تبعد عنها الغضب الشعبي وتحوله نحو الأمريكي الكافر، وإلى أن يحدث تغير جوهري في هذه الثقافة السياسية، فإن الفكر الجهادي سوف يزدهر"

يعالج المقال عدة أوضاع داخلية، ويضعنا أمام مفردات منها ما يشكل في حياة الأمة العربية والإسلامية تاريخا مادته فصول القمع.. الفساد.. التعصب.. الديكتاتورية حتى ليمكن القول بأنه لمس وتراً حساساً يعبر عن عصب العلاقة القائمة بين السلطة والمواطنين.

عادة. عندما يتكلم العدو يشك المرء في توجهاته.. من حق الذين ذاقوا مرارة الظلم والاستعباد أن يشكوا، لا نقول عقدة الإضطهاد.. لا نقول عقدة النقص هى التي تعجن أفكارهم وتشكلها،ولكنها الخبرة المستفادة من دروس الأيام، بفضلها يعرفون جيداً الأعداء المحليين ومتى تصفي تركتهم، وبفضلها يعرفون أن هذا النوع من كتابات مجلة تايم الأمريكية يذكرهم بصياغة المنشورات التي كانت توزع في الماضي ضد الذئاب المحليين.

في لغة تحريضية تبغي المجلة أن تقلب المواطنين علىالحكام والحكام على المواطنين، بنفس الصياغات التي تقام عليها مبادئ بروتوكولات حكماء صهيون، بفقراتها المعنية بنسج خطوط الانقلابات، وتصدير الثورة إلى بلدان العالم، ثم بعد ذلك يقع الشجار بين مختلف الفرقاء المحليين، ومن يبقى منهم بعد التصفيات الجسدية يجدون أنفسهم يقعون فريسة بين فكي مخالب الثعالب الغربية.

التاكتيكات صناعة صهيونية.. قديمة.. مبتذلة.. أوربا الغربية والشرقية التي عاش بين ظهرانيها اليهود وإذاقوها الأمرّين تعي أبعادها جيدا وتدرك مدى خطورتها.

بالنسبة لأوضاعنا العربية قد تأتي النتائج على هذا الطرح بما لا يسر، غير أن الجماهير، بكل مشاعر القهر والكبت صبت جام غضبها على الخارج متجهة في مظاهرات، عارمة ضد الصور المسيئة لنبينا الكريم ﷺ.

الشوارع العربية والإسلامية وهى تموج بالغضب: كيف يتناسى من يسئ إلى المسلمين ما كتبه عقلاء الغرب ومن كانوا يتصفون بالحصافة والاعتدال حين وضعوا سيدنا محمد ﷺ على رأس تصنيف أعظم أعلام البشرية، وجميعهم مائة كان على رأسهم رسول الله ﷺ باعتباره قائدا ورسولا ومرشدا وسياسيا وإداريا؟.

بلكنة يكسوها عدم الإكتراث يجيب الغرب بأن من حق مواطنيه ممارسة الحرية والتعبير عنها بمختلف الأساليب، ومن بين هذه الوسائل التعبير بالرسومات.

ومن يتأمل الصور المسيئة والخطوط التي استعملت في تكوينها سيقطع بعدم انتسابها للحرية، وإنما هى تعبير عن مشاعر عدائية قد تستخفي لفترات

تحت السطح، وحينما تجد الفرصة مواتية تهب مندفعة في عاصفة للإنقضاض على كل ما هو مقدس في حياة المسلمين.

وعلى مستوى تكتيك سياسية (خطوة - خطوة) تُنسج خيوط المؤامرة، وفصلا تلو فصل يفضي بنا المطاف على هذا المنوال إلى الهدف النهائي الخاص بهدم عقيدة الإسلام وتشويه تعاليمه بحيث إذا أعيد نشرها على المواطن الغربي نراه لا يختلف معها فحسب، ويا ليته يختلف ويناقش لعله يهتدي، وانما ينطلق في جموح وعماء لمحاربة الإسلام.

وواقع الحال يؤكد أن ذلك النوع من الكراهية لم يبدأ بنشر تلك الرسوم ولكنها محصلة عقود وأجيال ما فتئت تنكب على الاساءة للقرآن،، لسيدنا محمد ﷺ.. للغتنا العربية، ومن ذلك تلك الروح السوداء التي ظهرت أثناء محاكمة "حمزة المصري" في لندن يوم 19يناير2006.

سُلمت أثناء المحاكمة للمحلفين الذين لا يعرفون اللغة العربية عدة نسخ من القرآن، ووقف المحامي "فيتز جرالد" المكلف بالدفاع عن المتهم، ولم يغب عن براعته أن يوهم الحضور ومن كانوا يتابعون المحاكمة أنه يريد أن ينقذ العدالة بتبرئة "حمزة المصري" من تهمة التحريض على الكراهية، فكيف يكون القصد من وراء ذلك طعن القرآن شريعة المسلمين؟.

بدا المحامي في أقواله التي اشتركت عشرات الصحف والمجلات في نشرها وكأنه لا يقصد الإساءة إلى أحد إنما هو مهموم بأن يوضح لهيئة المحلفين وعدالة المحكمة ما يصنعه الدين الإسلامي في عقول الشباب من أمثال "حمزة المصري" ثم طلب إلى من كانوا هناك أن ينظروا إلى القرآن وهو يحث على الجهاد والقتال دفاعا عن الدين ثم أضاف:

"لقد قيل أن موكله كان يعظ داعيا للقتل، لكنه في الحقيقة كان يأخذ موعظته من القرآن نفسه"

واستشهد بآيتين من القرآن إدعى أن أبا حمزة يستند إليهما ضمن آيات أخرى كثيرة طوعها للتفسير الذي جاء على لسانه، وأدى إلى اتهام موكله.

وفي محاولة أخرى من محاولات الطعن أراد أن يوضح بها لهيئة المحلفين، قائلا:

"إن كلام أبو حمزة الذي وصفه الإدعاء بأنه يصل إلى حد محاولة إثارة الكراهية العنصرية ضد الشعب اليهودي، راجع إلى الحديث النبوي"

أي أن الأحاديث الدينية الشريفة التي أخذها المسلمون عن رسول الله ﷺ والصحابة أجمعين هي موضوعات لإثارة الكراهية العنصرية.

فأي جحيم تلك التي يريدون ان يلقوا فيها المسلمين؟.

وبالعودة إلى رسوم الكاريكاتير المسيئة، نراها أول ما نشرت على صفحات جريدة "بولا ندز بوستن" الدنماركية في سبتمبر أيلول 2005، وأعيد نشرها في صحف نرويجية في بداية عام 2006، وأعادت نشرها صحيفة "ابي ثي" اليمينية في أسبانيا، وصحيفة "بليك" السويسرية، و"ديلي تليجراف الهولاندية".

أحكم هذا المخطط وتم تنفيذه تحت ما يسمى بحرية التعبير.. فهل من مواصفات التعبير الحر أن ينحرف بالإساءة إلى ما هو مقدس في حياة البشر؟.

لو أن هؤلاء ذاقوا معاني القداسة، ولو أنهم كانوا على دين المسيح لما أساء أحد منهم إلى ديانة الآخر، ثم هل الحرية التي ناضل الملايين من البشر على مر العصور للحصول عليها ينتهي بها المآل لتصبح في يد رسام أو كاتب لا يلم بالدين الإسلامي ويستعملها في الإساءة لميار وثلاثمائة مليون مسلم؟.

حرية التعبير المزعومة هى حجة يتذرع الغرب بها عندما يتعلق الأمر بشؤون الشرق الإسلامي ويحيلها إلى وسيلة تعبر عن نشر العداء، في وقت كان ينبغي فيه أن يكون عنوان الحرية: الحضارة الغربية.. احترام حقوق الانسان وعقيدته.

فهل تسمح حرية التعبير في الإسلام لفنان مسلم أن يرسم - لاقدر الله - صورة السيد المسيح وهو على الصليب وبدلا من أن تحاط رأسه بهالات وأكاليل من النور، يرسمه برأس يخرج منه الثعابين؟

إن حياة الرسل والانبياء في الإسلام لا يتناولها المسلمون باللمز والهذاء والسخرية تحت أي مسمى ديمقراطي أو تعبيري، وإذا تحدث مسلم عنهم فبكل الاحترام والتبجيل.

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253].

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج: 34].

هذه دعوة الإسلام.. مآثر.. بينات.. هدى.. الايمان بوحدانية الله، ونحن نتعلم منها أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن شتاما ولا معنفا ولا هجاءا، وكان يرى أن للآخر حق الاختلاف وعلى المسلمين أن يكون لهم الحق في الرد الكريم، المهذب:**{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [النحل: 125].

الفرق بين الجدل الإسلامي والجدل الغربي أنهم هناك ينحرفون في تطاول كما فعل رسام جريدة "بولا ندز بوستن" ووضع للرسول عدة صور شائهة منها

صورة برأس تنطلق منه عدة قذائف ومتفجرات، مشيرا في خبث بأن القذائف التي تهدد حياة الأبرياء تخرج من رأس الارهاب العربي.

إن دل ذلك على شيء فإنما ليدل على جهل الرسام الدنماركي بالدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء، ولم يقف الأمر عند جهله، وكان يمكن أن تغلق صفحات المشكلة لو أن صاحب الرسومات المسيئة قدم إعتذارا، ومهما كان حجم الاعتذار فإنه لن يكف بالرغم من أن التسامح هو من أهم القيم التي عاش ومات عليها رسول الله ﷺ.

ولبث المنطق الغربي يعلن الانحياز إلى حرية الرأي في الدفاع عن الصور المسيئة، فيبدو متحيزا، ومتهافتا وخطيرا، وهذا ما حذر منه بيل كلنتون الرئيس الأمريكي السابق،عندما أشار إلى أن ألعداء للسامية قد تحول إلى عداء الإسلام.

الأمر الذي أفصحت عنه الصحف الأوربية حين تضامنت مع كتاب ومحرري جريدة "يولاندز بوستن" وقامت بنشر الصور المسيئة مرة أخرى، وكأنها تقول للمسلمين في أنحاء العالم: نحن نكرهكم.. يامن لم تتذوقوا طعم الحرية.. يامن لم تعرف رقابكم غير سيوف الحكام الدكتاتوريين.

من الذي يجيب الآن؟.. الحكام؟.. المثقفون؟.. رجال الدين؟

الجماهير العربية والإسلامية خرجت عن بكرة أبيها، أطلقت الحناجر مع صعود أصوات المآذن للصلاة، ملبية النداء: نحن فداؤك يا رسول الله.

والحديث مستمر عن الحرية الغربية يصادفنا العجب العجاب إذا تعلق الأمر بشؤون المسلمين، وإذا استعملت هذه الحرية ضد شخص ما فإن القيامة تقوم وموازين العدالة تنتفض لصالحه، وتصبح الحرية المزعومة طلاء من الزيف الاجتماعي وبريق مخادع.

وبدلا من أن تقف الحرية الغربية إلى جانب الحق والأخلاق والمثل الرفيعة نجدها تحابي الرذائل، بل وتحميها، وتعظم من شان مرتكبيها.

نسوق على سبيل المثال ما نشر على صدر مجلة "باري ماتش" الفرنسية في5 مايو2005، وهو صورة لطفل أنجبته أم مضيفة في إحدى شركات الطيران من علاقة محرمة وقعت بينها وبين امير موناكو.

على الفور. طيرت وكالات الأنباء العالمية الخبر الذي عرى حياة الأمير، فما كان من الأمير الا أن ظهر مرتديا ثياب الأمانة والفروسية الزائفتين، وقد أكد - في لقاءات - معه في التليفزيون علاقته بالمضيفة. وأقر أبوته للطفل.

كان يمكن عند هذا الحد أن تسدل الستار على فصول من فضائح الأمير الا أن سيادته أظهر مدى شغفه وحبه لممارسة الحرية الشخصية، فطرق أبواب المحاكم مدفوعا بمشاعر الرجل الغربي الذي تربى على مبادئ الإقتناص وكيفية الحصول على آخر سعر لصرف الفوائد حتى لو كان العائد عبارة عن حصيلة لعلاقة غير شريفة.

وبالفعل رفع دعوى قضائية ضد مجلة "باري ماتش" وفي الجلسة الأولى حكم القاضي الفرنسي أن تدفع له المجلة خمسين ألف يورو مع نشر هذا الحكم على صدر المجلة، وفي حيثاته أكد: "أن المجلة ارتكبت خطأ التدخل في حياة "ألبرت" وهو شخصية مهمة لا يجوز اقتحام خصوصياته!! "

يعيدون الثقة والإعتبار مع الإعتذار لشخص مارس الزنا وبنص قانوني، وعندما يسيئون إلى مقدساتنا لا يعتذرون.

واكب هذا ما نشرته الصحف المحلية عندما تناول كتابها موضوع الصور المسيئة بالتجهيل، ربما بحسن نية، أو ربما لأن الحملات التي تشن ضد أمتنا كانت غير واضحة المعالم في حياتهم بسبب عجز في أجهزتهم المعرفية،

فجاءت كتاباتهم على منوال التغرير بالقراء حيث كانوا يصورون الخلاف بين الشرق والغرب على أنه شب بسبب سوء الفهم وعدم التقدير من الجانبين "الشرقي والغربي" وان الغربيين لا يحسنون الظن بنا ولا يفهموننا الا بسبب جهلهم لوسطيتنا كأمة مبشرة:**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}** [البقرة: 142] وكذلك:**{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}** [فاطر: 24].

والغريب في هذه القضايا أن عامة المسلمين - لطيبة قلوبهم - ظنوا أن الآخر سيؤمن ويصدق رسالة البشير محمد بن عبد الله عليه وعلى أصحابه السلام.

والحقيقة أن مبلغ الإحترام لن نصل له لأننا لم نأخذ بعد الموعظة والدروس من قوله سبحانه وتعالى:**{ولن ترض عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}** [البقرة: 120].

وبما أن المسلمين مأمورون بالتكليف، فإن عليهم التبليغ، أما النجاح في ذلك فهو أمر يتعلق بمشيئة الله وتصديقا لقوله سبحانه وتعالى:**{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ}** [الغاشية: 21 - 22] وقوله عز من قائل:**{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** [القصص: 56].

وفي مجال التعبيير فإن المسلمين مع حرية الرأي، ويتفهمون دساتير العالم وميثاق الأمم المتحدة الذي ينص على حرية العقيدة والرأى شريطة الا يستخدم هذا الرأي في الإسفاف والزراية بعقائد الآخرين، ونحن مع نص المادة 19 من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي ينص على حرية التعبير.

ولكيلا تسوقنا المشاعر الدامية إلى ساحة العنف، وهي ليست من الإسلام في شيء، فإنه لا يمكن القضاء على الإرهاب بإستولاد ارهاب آخر مثل الذي حدث على أيدي الولايات المتحدة الأمريكية في العراق.

وحسبما قلنا آنفا إن الأباطيل والإفتراءات التي تلصق بسيدنا محمد ﷺ وبالإسلام ليست وليدة اليوم، وقد تصدى لها منذ أكثر من خمسين عاما الأستاذ عباس محمود العقاد، ووضع عدة كتب في هذا الشأن منها: "ما يقال عن الإسلام" تناول فيه بالتفنيد والرد العلمي والموضوعي على خمسين كتابا صدرت في الغرب، وجميعها تظهر العداء والكراهية لنبي الإسلام، ثم تلى ذلك "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه" وقد أوضح فيه أن خصوم الإسلام لا يكتفون بإشاعة روح العداء والخصومة، بل يؤكدونها حين يتطرقون للثوابت بأساليب لا رائحة للصدق فيها ولا لموضوعية التناول.

بعد ذلك صدر للأستاذ العقاد كتاب "الإسلام دعوة عالمية" رد فيها على من وصموا المسلمين بتهمة التخلف والجمود، وأثبت بالحجة أن الإسلام دعوة تحث الناس على العمل والحركة والسير في مناكب الحياة:

{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة: 105] و**{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** [الحج: 40] و،**{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}** [الملك: 15].

وتوالت حينذاك كتابات الدعاة والمصلحون ضد التعصب والجهل، ومنهم العلامة محمود شاكر والشيخ عبد الحليم محمود وخالد محمد خالد ومحمد الغزالي ومحمد عمارة.

ولكن المشكلة التي صادفتها الكتابات المستنيرة أنها كانت تعاني من ضيق الإنتشار، بمعنى انها كانت تنتشر في الداخل بينما نحن في مسيس الحاجة لنشرها وإذاعتها على العالم، ولا تزال الحاجة مُلحّة إلى من يخرجها من حيز الضيق لينشرها على العالم فتحقق الفائدة، إذ كلما اتسعت دائرة المعرفة ضاقت سبل المغرضين وانكشف عوراهم.

* * *

نظرة إلى الخلف.. خطوتان إلى الأمام

نظرة سريعة إلى ما يجري على الساحة الدولية تؤكد أن الغرب لا يريد أن نفلت من بين يديه، وواقع الحال ان الأمور ليست كما يدعي "صموئيل هنتنغتون" صراع الحضارات، بل صراع الثقافات بما فيها من أطياف الفكر بألوانها المختلفة، بين دنيوية وأخروية، بين يمين وشمال، بين مؤمنين و ملاحدة.

ولكن إذا كان هؤلاء في فرنسا كما ادعت جريدة "فرانس سوار" المهتمة بنشر قصص الفضائح والإباحية يمارسون شعائر حرية التعبير وإذا كانوا يرون من حقهم أن يسخروا من الرسل والأنبياء، فليس من حق أي أحد في الغرب أن يفرضوا نزعتهم الفكرية أو قيمهم الثقافية على الإسلام والمسلمين.

إن أصل البلاء الذي ابتليت به البشرية، كما يقول "رجاء جارودي" في كتابه: "كيف نصنع المستقبل" يعود إلى الثقافات الغربية التي قامت على أساس من الشعور بالتفوق العنصري و إقصاء الآخر،وقد رسم خطا رابطا بين أسطورة "الشعب المختار" في الثقافة اليهودية، وتفوق العرق اليوناني في الثقافة اليونانية، وحاليا الهيمنة الأمريكية.

ويرى "جارودي" أن المشروع العنصري النازي الذي يقوم على مبدأ تفوق الجنس الآري على باقي الأجناس، لم يتم التخلص منه، بل يجري استكماله بواسطة أمريكا بوسائل أخرى، وأن الخلاف بين الفاشية والديموقراطية الغربية هو خلاف في الشكل لا في المضمون، كما يرى أن تاريخ الديموقراطية الغربية ابتداء من ديموقراطية "أثينا"

القاصرة على الأسياد هى ديمقراطية زائفة، تفسح الطريق أمام زوال القيم المعنوية والأخلاقية لصالح قوانين السوق والقيم السلعية، والترويج لقصص وصور تسيء إلى المسلمين.

وإذا كان الغرب يتجاهل عظمة النبي ﷺ ووضعه بالنسبة للمسلمين فنحن نوضح اختصاص المولى عز وجل لسيدنا محمد وقدر منزلة المصطفى وارتباط اسمه باسم الله عز وجل في العبادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفي أسس العبادة: "بُنى الإسلام على خمس. شهادة ان لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... الخ" والمسلمون يؤمنون بالوحي وما نزل على صدر النبي:**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}** [الفتح: 29] وقول - الله عز وجل - مخاطبا الرسول:**{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم: 4] و:**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}** [الأحزاب: 45 - 46] ومن ينظر إلى الحياة بثرائها وتنوعها سيزاداد ايمانا بأن الله قد قصرها على من أسلم من عباده وآمن، ولذلك فإن المسلمين في شتى مناحي حياتهم يؤثرون التعدد، ومن يتابع أهم القضايا التي طرحت أخيرا على بساط حوار الحضارات يرى أن المسلمين مهمومون بمسألة الاعتراف بواقع التعددية الثقافية وحماية الحق في التنوع الثقافي، وهو الحق الذي أقرته الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي والفني والتي وافقت عليها منظمة اليونيسكو.

إن التنوع الثقافي مطلب عادل تنادي به الشعوب، وهو قوة يحاول الاتحاد الأوربي أن يستفيد منه لمواجهة التجنيس الثقافي لحركة الأمركة:

"إن مـا يميـز المملكـة الإسـلامية عـن أوربـا النصـرانية فـي القـرون الوسـطى، أن الأولـى يسـكنها عـدد مـن معتنقـي الأديـان الأخـرى غيـر الإسـلام، ولـيس كـذلك الثانيـة، وأن الكنـائس والبِيَـع ظلـت فـي المملكـة الإسـلامية، كأنهـا خارجـة عـن سـلطان الحكومـة، وكأنهـا لا تكـون جـزءاً مـن المملكـة، معتمـدة فـي ذلـك علـى العهـود ومـا اكسـبتهم مـن حقـوق، وقضـت الضـرورة أن يعـيش اليهـود والنصـارى بجانـب المسـلمين، فأعـان ذلـك علـى خلـق جـو مـن التسـامح لا تعرفـه أوربـا فـي القـرون الوسـطى.. "[1].

هـذا التنـوع والتعـدد الزاهـر تحقـق علـى أيـدي المسـلمين وبـرز ذلـك جليـا فـي تنـوع الثقافـات، وهـو حلـم - الآن - تحـاول الشـعوب أن تعيشـه وتـنعم بـه، ولكـن الإدارة الأمريكيـة ظلـت تقـف ضـده، وهـددت بقطـع علاقاتهـا بهيئـة اليونيسـكو، وبالفعـل اسـتمرت القطيعـة طـوال عشـرين عامـا، وأول مـا فعلتـه ادارة بـوش فـور اسـتئناف عضـويتها هاجمـت مشروع اليونيسكو للتنوع الثقافي ووصفته بالفكرة الرديئة.

فـي اليـوم الأول الـذي عـادت فيـه لعضـوية الهيئـة وقفـت "لـورا بـوش" وفـي حقيبتهـا مبلـغ 620 مليـون دولار حصـة الولايـات المتحـدة المقـررة لميزانيـة اليونيسـكو، وقـد اشـترطت - لـدفعها - أن يتخلـى اليونيسـكو عـن مشـروعه الـذي أراد بـه أن يتـوج عقـد حـوار الثقافـات عـام (1988 - 1998).

---

1 - المرجع: نقلا من ضحى الإسلام. تأليف أحمد أمين، عن كتاب نهضة الإسلام. ترجمة "خدا بخش" من الألمانية إلى الإنجليزية ص340.

ورغم موقف الادارة الأمريكية فعلى المسلمين إبراز احتفاء الإسلام بالتنوع الثقافي والمساهمة في نشره، ويكفي كنقطة انطلاق مقولة الامام على بن أبي طالب: الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الإنسانية.

ولا بد من أجل نجاح حوار الثقافات من تفعيل كافة الجهود التي اتخذت في هذا الشأن، ومنها ما تضمنه الكتاب الأبيض الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الايسيسكو" وبيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات في سنة 2000، وإعلان طهران حول الحوار بين الحضارات في سنة 1999، والتنوع في اطار التكامل في ألمانيا سنة 2002، ونداء تونس حول الحوار بين الحضارات في نوفمبر سنة 2001، والحوار بين الحضارات من أجل التعايش في (دمشق2002)، والحوار بين الحضارات والثقافات.. الفهم والتفاهم في لينشتناين سنة 2002.

ولا بد لكي لا تعود حادثة الصور المسيئة من بلورة استراتيجية للتصدي لمعاداة الإسلام:

1- تعميق المعرفة المشتركة بين الشمال والجنوب.
2- تفعيل الحوار الإسلامي - المسيحي.
3- الانطلاق من التنوع الثقافي.
4- التأسيس العلمي لظاهرة معاداة الإسلام.

5- اثراء حركة نشر التراث الإسلامي بعد تنقيته.

6- التنسيق بين المؤسسات الثقافية والدينية.

* * *

الرسالات السماوية كانت دينية
الإسلام كان دينا وشريعة

عرفت شعوب أمتنا العربية معنى رحلة الغرب إلى الشرق اكتشافا.. غزوا.. استلابا.. تدميرا.. تحديثا، وتحت مرامي وأهداف صليبية وثقافية، وتبشيرية.. برز دور الغرب كمحرك لعجلة التطور والتحديث.

قبل أن يظهر في ثيابه الجديدة، كان التاريخ عرف رحلة الشرقي إلىالغرب كمنارة تهدي من كانت تسدل على حياتهم أستار الظلام، ومن كانوا مستغرقين في وثنية أساطير اليونان والرومان القديمة، حيث تتنامى - حسب طبيعتها - في تشوش عقلي يصل إلى حد الإنفصام الروحي بين الفكر الإنساني والواقع العملي.

ومضى كل منهما في طريق، أخذ الشرق على عاتقه أعباء رحلة التواصل مع الآخرين إستجابة لرسالة الإسلام التي كانت تدعو إلى الانفتاح على الآخر، وأخذ الغرب يقطع الأشواط الاستعمارية لنزح موارد الشعوب والعمل على إمحاء هويتها.

من هذيين الطريقين، طريق الشرق إلى الإنفتاح على طريق الخير والتعاون، وطريق الغرب إلىالسيطرة والاستعمار، بدت ظاهرة التفاعل بين هذين الإتجاهين، تبدو وكأنها تعالج نقيضين لا رابط بينهما، ولا يمكن أن يصلا إلى نتيجة يرضى عنها الطرفان، الأمر الذي يعبر عنه "صموئيل هنتغتون" بمعنى صدام الحضارات.

وهو قول سبقة كلام جاء قريبا من نبرته على لسان شاعر الاستعمار الانجليزي "رديارد كبلنج": "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا! " ولكن من حقنا ألا نسمح بمثل هذا الكلام ونعتبره القاعدة

المحورية في علاقة الشرق بالغرب، وإذا سوغه البعض لعقولنا فسنكون من أهل الجاهلية الأولى الذين كانوا لايؤمنون الا بالأصنام التي ورثوها عن جدودهم.

هذا مع الأخذ في الإعتبار بمجموعة الفوارق البيئية والسيكولوجية والثقافية لكل من الحضارتين العربية والغربية، غير أن المسافات المتابعدة بينهما لم تصب المفكرين المسلمين بنوع من اليأس والجمود في مثابرة على أمل الالتقاء عند خطوط يُرجى الاتفاق حولها.

غير انهم في سعيهم نحو إيصال الجسور ببعضها اكتشفوا أن الغرب يغمط الحضارة العربية والإسلامية حقها ولا يكيل الأمور بموازينها الصحيحة، ثم يتعامى في صلف مدعيا أن حضارة المسلمين لم تكن حضارة ذاتية، بمعنى انها لم تكن تملك جوهرا تقدم به الجديد، وانما عاشت على تعديل، وتشكيل، واقتباس أفكار القدماء، وهو بتجاهله آثارنا الحية في فكره وحضارته قد اختار موقع الدعيّ المغرض الذي لا يعتد المنصفون بكلامه.

فمن الذي لا يذكر أن الرسالات قبل الإسلام كانت دينية بحتة؟.. أما الإسلام فكان دينا وشريعة وضعت للعالمين معالم العدالة الاجتماعية، وسنت القوانين التي جعلتها في خدمة الانسان، لا القوانين التي سخرت الأنسان في خدمة فرد، أو مذهب، أو حزب، أو عشيرة.

ولا يزال الإسلام بعد أكثر من أربعة عشر قرنا يفرض وجوده بصلاحية شرعيته بأبعادها وأعماقها المختلفة على المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية، وفي ذلك يعلن نقيب المحامين في باريس بلد الحرية والديموقراطية: "إن الشريعة الإسلامية لها من العمق، والأصالة، والدقة، وكثرة التفريع والصلاحية ما يقابل جميع الأحداث".

ومن الملاحظات التي وقف عندها "ديورانت" في "قصة الحضارة" صلاحية الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لمجتمع دائم صلاحية تجمع بين الواقع و المثال.

ويلاحظ العلماء المحدثون منذ "سنوك هوجر ونير" ارتباط القانون بالدين في بلاد الإسلام، ويربط الأستاذ "أ. فيظي" بين النظام القضائي في الهند في العصور الوسطى وبين الإسلام عندما كانت الهند العليا تحت سلطان الملوك المسلمين.

ويعزو فضل ذلك إلى مآثر الدين الحنيف وما قدمه رسول الله للإنسانية جمعاء من خير يعلي قدرها وينقل الانسان من حظيرة الحياة البهيمية إلى مصاف الرقي والتحضر.

يقول "كارليل" في كتابه "الأبطال": "لولا أن محمدا فيه صدق ما ظفر بهذا التحكيم ويقول "أرنولد تونبي" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" عند الحديث عن انتشار الإسلام بين مسيحي إفريقية: "ليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن دخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط".

ويؤكد "روبرت بريفانت" في كتابه "تكوين الإنسانية": "لم يكن العلم فقط باعث الحياة في أوربا، بل الآثار العديدة الأخرى من الحضارة الإسلامية أفاضت اشراقها الأول على حياة تلك القارة"، وألقى "لويس برنار" في كتابه "الإسلام يشرق على الغرب" الضوء على مساهمات الإسلام العديدة في تطور الحياة الغربية.

ومن المعروف عن الإسلام أنه دين الفكر حتى يسمى أهل الرأي "أصحاب النظر" ومن الإجتهادات التي تحسب لـ "أهل النظر" في

الإسـلام أنهـم يصـممون علـى إيجـاد إجابـة لسـؤالهم: الا توجـد فـي حضــارة الغــرب قيمــة إنســانية واحــدة تحــث مــواطنيهم علــى عقــد أواصــر عــرى الصـداقة والأخـوة الإنسـانيةعبر طريـق لا تعـرف الصـدام؟.. ألـم تعـد توجـد قيمــة إنســانية تحــث الغــرب علــى التخلــي عــن أديولوجيــة المســيحيين الجــدد المطعمــة بزيــف مبــاديء الصـــهيونية ودعـــاة قـــرع طبـــول الحـــرب حتـــى يخــرج الجميــع إلـــى لغـــة الحـــوار المتكـــافئ، ثــم مــن الحــوار إلـــى التلاقـــي المتكامل، بل والممكن والمنشود؟

لقـد ذاقـت شـعوب الأمـة العربيـة والإسـلامية الأمـرين علـى أيـدي مـن يضـطهدونها داخليــا وخارجيــا.. كنــا قبيــل تفكيــك منظومــة الكتلــة الســوفيتية نعـول علـى دول أوربـا فـي نصـرة قضـايا العـرب العادلـة ونعتبرهـا راعيـة للحريـة، غيـر أن الأيـام أسـقطت عـن وجههـا أقنعـة المُـراء والتـدليس، فبـان بتقـاطيع الملامـح الإسـتعمارية القديمـة، وأصـبح كـل مـا يعنيهـا فـي الحيـاة أن تتشـبث بأذيـال الولايـات المتحـدة الأمريكيـة آملـة أن تحصـل علـى دور يجعلهـا قريبـة مـن مسـتعمراتها القديمـة، لـذلك فإنهـا لـم تجـد أي بـأس فـي لعـب دور ذيلـي يرضـي غـرور أمريكـا مـع تبنـي وجهـة النظـر الصـهيونية والوقوف إلى جانب القررات الدولية التي تخدم مصالح إسرائيل.

هـذه الصـدمات التـي تلقتهـا أمتنـا العربيـة علـى أيـدي أوربـا، كانـت واحـدة منهـا كفيلـة بـأن تعيـد إلـى رؤوسـنا العقـل وتـدفع الأنظمـة العربيـة إلـى عـدم البحـث عـن كيانـات خارجيـة تسـتند عليهـا فـي حـل مشـاكلها وأن تبـدأ على الفور في بناء قوتها الذاتية.

لكن على ما يبدو أن مذاق الصفعات قد استمرأه البعض حتى وصل الأمر إلى إلصاق صفة "الخنازير" و "الشياطين" بالعرب، ثم تصاعدت نغمة السباب حتى طعنت الدين الإسلامي وألحقت برسول الله ﷺ فاحش القول.

وعندما احتشدت المرجعيات الدينية والتفت حول الطاولات لمناقشة ما يسمى بحوار الأديان، سيطرت على بعض الدعاة والمفكرين نظرة تشاؤمية، إذ كانوا يرون أنه لا جدوى من وراء هذه الحوارات طالما أن هناك من يحاور بالمنطق والبراهين، ومن يجلس على الطرف الآخر من طاولة الحوار وهو يقعقع بأصوات الاستعلاء ولغة التفوق النووي، وبغطاء مشبع من تلك الأفكار التي روج لها "صموئيل هنتغتون" مؤلف كتاب "صدام الحضارات" وهو أستاذ علم الحكومات ومدير معهد أولين للدرسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد، ومن أفكاره ما هو مؤسس على فريضيات مؤداها " أن الأديان يواجه بعضها البعض بطريقة لا بد أن تؤدي بالضرورة إلى كل أنواع الصراع بما في ذلك الصراعات العنيفة"

ولا ندري لماذا أسقط "هنتغنتون" من حافظته وهو الأكاديمي المخضرم الحملات الصليبية قديما والحملات العسكرية حديثا وكلاهما لم يكن الهدف من ورائهما دينيا بل استعماريا، لأن دين المسيح برئ من كل الجرائم التي ارتكبت في حق شعوب الأمة العربية والإسلامية باسم نشر الحضارة الغربية، مع الإفراط في إظهار جانب التفوق التكنولوجي والعسكري كتعبير يسيطر على عقول القادة الغربيين بأنه

يمكـن عـن طريـق القـوة صـياغة عـالم جديـد، بعـد أن راوحـت أسـاليب الحـوار الهـادئ مكانهـا، وأصـبحت منعدمـة القيمـة، بـل وتعـد مـن أرديـة الأزمنة الرثة.

أمـا العـالم البريطـاني "جوزيـف نيـدهام" عميـد جامعـة كمبـردج فلـه رأي خاص في مسألة الأديان يكاد يقترب من الحقيقة حين يقول:

"إن الإلتـزام بـدين معـين يجعـل مـن الصـعب علـى المـؤمن أن يتبـين معاني الحضارات، والديانات الأخرى بشكل أصيل".

ولعـل مـن ينشـد الحقيقـة، أو معـاني الحضـارات سـيجدها فـي الـدين الإسـلامي، إذ إن الإسـلام - وحـده - آمـن وصـدق بمعـاني وجـوهر الـديانات السـماوية، والإيمـان بمـانزل علـى مـوس وعيسـى علـى الـرغم مـن الصـراع الحيـاتي ومـا شـجر بـين الـديانتين مـن اخـتلاف، جعـل بعضـها يتنـافى مـع الـبعض، فـاليهود ينفـون المسـيحية، والمسـيحون الأوائـل كـانوا ينفـون اليهوديـة، ولـم يعـد أمـام العـالم سـوى الحقيقـة الفريـدة الكاملـة التـي عبر عنها الفيلسوف الألماني "جوته" بقولـه:

"إذا كان الإسلام هو التسليم لله فإننا نحيا ونموت في الإسلام"

ذلـك الأمـر يـدفعنا إلـى إعـادة النظـر فـي أفكـار "هنتغنتـون" عـن الأديـان، - والتـي حسـب زعمـه - تـؤدي إلـى الصـراع، فنقـول إن الحـروب التـي تشـن علـى الـدول العربيـة والإسـلامية بـدءا بالاسـتعمار الأمريكـي لأفغانسـتان والعـراق وتصـدي "حـزب الله" لجـيش العـدو الصـهيوني حـين اجتـاح منـاطق الجنـوب اللبنانيـة ودمـر الألآف مـن البيـوت والجسـور ومحطـات الميـاه والكهربـاء.. الـخ، هـل يعـد ذلـك تعبيـرا عـن رؤى دينيـة

في يهودية إله الحرب "يهوه" والمسيحية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية؟

لكوندا ليزا رايس رأي في ما جرى على الأراضي اللبنانية، ومن المعروف أنها لا تعبر عن رأي شخصي بل عن السياسة الخارجية الأمريكية، ففي مستهل شهر أغسطس 2006 خطبت في حشد من الصحافيين وقوات الجيش الصهيوني تجتاح لبنان:

"الآن يولد شرق جديد فبعد سقوط بغداد وإقامة الديموقراطية على أرضها، سوف تنهض دول أخرى ومنها لبنان"

معنى ذلك أن العالم العربي في الخطط العولمية لكي "ينهض" لا بد أن "يسقط" أولا كما سقطت أفغانستان وبغداد من أجل ترسيخ أقدام الولايات المتحدة الأمريكية وتيسير استثمار وجودها المتفوق حول العالم دفاعا عن مصلحتها التي تعتبرها الاستجابة البناءة لمصالح "الجماعة العالمية".

من هذه الأرضية تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط على الأسرة الدولية لاستصدار قرارت تمكنها من تحقيق مشاريعها الإستعمارية تحت غطاء من الشرعية الدولية، وبذلك تصبح هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو واليونسيف وصندوق البنك الدولي من المنظمات العالمية التي تعمل في خدمة أمريكا وليس من أجل مصلحة الشعوب:

"فمن خلال صندوق البنك الدولي، والمؤسسات الإقتصادية العالمية الأخرى يعمق الغرب مصالحه الإقتصادية ويفرض سياسات اقتصادية على الأمم الأخرى يعتقد أنها ملائمة لها.

ولكن فـي أي استفتاء للشعوب غير الغربيـة حـول صـندوق النقد الـدولي سيحصل على نتيجة متدنية جدا من الأغلبيـة السـاحقة الـذين يتفقـون مـع جـورج أربـائوف لمسؤلي صـندوق النقـد الـدولي بـأنهم البلاشـفة الجـدد الـذين يسـتغلون أمـوال شـعبنا ويفرضـون قواعـد غربيـة وغيـر ديموقراطيـة للعمـل السياسـي والإقتصادي وإجهاض الحرية الإقتصادية"[1].

ومـن الأمـور المثيـرة للإنتبـاه أن الغـرب الـذي سـرق علمـاء الأمـة العربيـة والإسـلامية وأغـراهم بمختبراتـه العلميـة ودولاراتـه ومـع احتفاظـه بتفوقـه العسـكري يسـعى دائمـا للحيلولـة دون انتشـار السـلاح النـووي والبيولـوجي والكيميائي حتى لا تصل - بالذات - إلى أيدي العرب والمسلمين.. يكفي ما لدى كوريـا الشـمالية مـن أسـلحة الـدمار الشـامل وهـو مـا يـؤرق الولايـات المتحـدة الأمريكية ويجعلها نهبا للهواجس والقلق.

في عـام 1988 اعلـن الـرئيس رفسـنجاني بأننـا "الإيـرانيين يجـب أن نتسـلح بالأسـلحة الهجوميـة والدفاعيـة، بإسـتخدام الأسـلحة الكيمائيـة والبكترولوجيـة" وصـرح نائبـه: "حيـث أن اسـرائيل مسـتمرة فـي إمـتلاك الأسـلحة النوويـة، نحـن المسلمون يجب أن نتعاون في انتاج قنبلة نوويـة، وبغـض النظـر عـن محـاولات الأمم المتحدة منع انتشار الأسلحة النووية".

"ومن المؤكد أن إيران وباكستان طورتا تعاونا عاليا جدا فـي مجـال الطاقـة النوويـة وذلـك بتـدريب الباكسـتان لعلمـاء إيـرانيين، وموافقـة الباكسـتان وإيـران والصين في نوفمبر 1992 للعمل معا على المشروعات النووية"[2].

---

1 - المرجـع: د. محمـد عابـد الجـابري، قضـايا فـي الفكـر المعاصـر (بيـروت مركـز درسـات الوحـدة العربية1997ص125.

2 - المرجع: فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، القاهرة، مكتبة مدبولي 1997ص134.

خطتان لضربة وقائية وضعتا على مكتب الرئيس جورج بوش، ضربة مباغتة تسدد إلى المفاعل النووي الإيراني، والضربة الثانية توجه ضد كوريا الشمالية.. في أوربا ينبري اليمين المتطرف مطالبا بوش أن يبيد إيران ويضربها كما فعلت أمريكا من قبل مع هيروشيما ونجازاكي.

المحللون السياسيون والإقتصاديون في أوربا يؤكدون أن حاجة بلادهم للحصول على الأموال من خلال بيع الأسلحة والتكنولوجيا تيسر للمجتمعات غير الغربية شراء الخبرة والتقنيات، وقد قلص ذلك نسبيا من جهود الولايات المتحدة بفرض شروط التقيد ببرنامج عدم نشر أسلحة الدمار الشامل، ولكن على الرغم من كل شيء فانها تقف للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالذات وتصر على إيقاف تخصيب برنامجها النووي.

أمريكا تخاف من حلول الساعة الرهيبة التي يجتمع فيها الإرهاب مع الأسلحة النووية، وهى تضع إيران في مربع الشر، وتدرس في ذات الوقت أوضاعها الداخلية، فلدى إيران الموقع المركزي والجغرافي الممتاز والتقاليد التاريخية والمصادر النفطية، وفيها نسبة كبيرة من السنة وشيعة تدير شؤون الدولة.

وعلى مستوى العلاقات الخارجية نجحت في الحصول على موافقة الصين حين سمحت لها بانتاج الصواريخ الصينية (أرض/أرض) مما سبب المزيد من القلق لكل من اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ثم ارتفع نبض المخاوف حين نقلت كوريا الشمالية صواريخ سكود لإيران، وساعدتها في تطوير انتاج المواد العسكرية الخاصة بذلك.

واعتقدت امريكا أنها ستحرز نجاحا فائقا إبان عقد مؤتمر عدم نشر الأسلحة الذرية في ابريل 1995، وكانت القضية الأساسية هى: هل يجب تجديد معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لفترة غير محدودة أو لمدة خمس وعشرين سنة؟

الولايات المتحدة بذلت جهودا جبارة لتكون الفترة غير محددة.. عدد من الدول المشاركة رفضت تبني وجهة النظر الأمريكية إلا إذا تلازم ذلك مع تقليص القدرات النووية للبلدان الخمسة النووية.

وفي ذلك المؤتمر الذي كانت مصر عضوا فيه رفضت الأخذ بوجهة النظر الأمريكية إلا إذا وقعت اسرائيل على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية وقبلت أعمال لجنة التفتيش.

* * *

إيران نقطة صغيرة في الميزان النووي

يحلم الإيرانيون بتخصيب اليورانيوم كخطوة مهمة على طريق صناعة قنبلة ذرية.. يقول الخبراء في مجال الطاقة: يمكن أن تصنع إيران قنبلة ذرية بعد عشر سنوات بشرط عدم تدخل أمريكا.. المسافة بينها وبين اللحاق باسرائيل تتسع، ولا مجال هنا للمقارنة، ومع ذلك تسيطر الهواجس على اسرائيل.. تخاف من الجدية التي تتناول بها إيران موضوع الحصول على قنبلة نووية.

إنها في أول الطريق،ولكنها تخيف الكيان الصهيوني.. في سبتمبر عام 2002 بلغ عدد المرافق النووية الإيرانية المعلن عنها والخاضعة لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة عشرة مرافق تنتشر على امتداد ثلاث مدن: المفاعل البحثي في طهران، ومرفق انتاج النظائر المشعة، في مدينة بوشهر توجد محطة القوي النووية التي بناها الألمان في عهد الشاه وانتهى الروس من استكمال منشآتها وتجهيزها في عهد آيات الله الخوميني، وتوجد في أصفهان 7 مؤسسات نووية، تتمثل في أربعة مفاعلات تجريبية، مفاعل نيتروني، ومفاعل يعمل بالماء الخفيف، ومفاعل يعمل بالماء الثقيل، اما الرابع الذي يعمل بالجرافيت فقد خرج من الخدمة.

وهناك مختبرات "جابر بن حيان" المتعددة الأغراض، ومصنع "قلاى" لتصنيع أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم ومصانع أخري لانتاج الماء الثقيل.

وتحاول الولايات المتحدة مع إيران، بالترهيب تارة والإغراء تارة أخرى أن تثنيها عن استكمال تجاربها، وإزاء اصرار إيران على تطوير برنامجها النووي رفعت أمريكا الأمر إلى وكالة الطاقة الذرية، وحولت خصوصية التجارب من موضوع الوصول للتكنولوجيا العصرية إلى موضوع سياسي ليس مكانه وكالة الطاقة الذرية.

ولكن بكل أسف تحول دور مفتشي وكالة الطاقة الذرية من دور حيادي يقتصر على مراقبة المفاعل واخذ عينات منه وتحليلها وتقديم تقرير بذلك إلى مجلس المحافظين، ثم القيام بدور المحقق لا المحاور الذي يسأل عن أسماء الذين وقعوا صفقات شراء المواد والمعدات الخاصة بعمليات التخصيب والطرد، وتواريخ سفرهم لعقد هذه الصفقات وأرقام جوازاتهم والمبالغ التي كانت تصرف لهم أثناء الذهاب والإياب، وأسماء الذين تعاملوا معهم في الخارج وعناوينهم.

لقد أعاد مفتشو الطاقة الذرية إلى أذهاننا ملامح ذلك الدور الذي لعبه مفتشو البحث عن أدوات الدمار الشامل في العراق قبل وصول قوات المارينز واحتلالها، كل ذلك يجري لإيران؛ لأنها أخطأت وفكرت أن تكون دولة قوية.

المحللون العسكريون في البنتاجون قدموا طرحا لأفكارهم لساسة الادارة الأمريكية.. الإدارة الأمريكية أمست على قناعة تامة بأن تحول إيران نوويا بمثابة ناقوس ينذر بالقضاء على اسرائيل وتصفية النفوذ الأمريكي في منطقة الشرقين الأدنى والأقصى.

في الوقت الذي بدات فيه إيران تقف على عتبات الطريق النووى، والحكومات الغربية تتشبث بعدم نبذ المعايير المزدوجة، ولا تمانع في منح اسرائيل - التي ليست عضوا في معاهدة الحظر وتشكل خطرا على السلم والأمن الدوليين - حق إنتاج وتطوير أسلحة نووية وكيمائية سواء بالصمت أو التواطوء.

بالنسبة للسلاح النووي الإسرائيلي، فقد أعلنت المخابرات المركزية عام 1974 عن تمكن اسرائيل من صنع سلاح نووي، وأنها تنفق بسخاء على بناء منظومة صواريخ متوسطة المدي وقادرة على حمل رؤوس نووية، في إطار برنامج كان يسانده شاه إيران محمد رضا بهلوي.

وقبل نهاية القرن العشرين قدر البوفيسور "فرانك بارنابي" المدير السابق للمعهد الدولي للسلام في استكهولم أن اسرائيل تملك ما بين مائة ومائتي قنبلة نووية، ولديها قدرة حمل النووي إلى الأهداف التي تريدها بواسطة الطائرات والصواريخ والغواصات (من بينها ست غواصات أعطتها ألمانيا هدية لإسرائيل على دفعتين.. الدفعة الأخيرة تسلمتها في نهاية سنة 2006)

وخلال عام 1957 أرادت حكومة "جي موليه" أن تنتقم من حكومة الجمهورية العربية المتحدة التي كانت - آنذاك - تساند ثوار الجزائر أيام حرب التحرير، فسارعت بمساندة اسرائيل في بناء مفاعل ديمونة، واشتمل الإتفاق المبرم بينهما عام 1957 على إنشاء مركز للبحوث وعمليات البلوتونيوم على عمق ست طوابق تحت الأرض.

البون شاسع والمسافات طويلة بين إسرائيل وإيران.. في عام 1995 صرح" وران" وزير الخارجية الأمريكية قائلا: "إيران الآن منهكة في جهود تطوير الأسلحة النووية" ولكن اسرائيل لديها بالفعل ولم توقع على اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية وأمريكا تساندها في موقفها، ولم تعتبرها دولة مارقة،مع أنها إذا إشتمت أي رائحة لدولة عندها نية لتخصيب مادة اليورانيوم أو أي نوع من هذه المشتقات لا تكف عن شحن الاسطوانات بما تسميه خطر الإرهاب، ونشرها على طول القنوات الفضائية وعرضها لتحذر وتخيف رؤساء الدول من الخطر الأسود الذي بات يتهدد الجميع، وسرعان ما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة قرار - تقف وراءه وتتبناه الولايات المتحدة الأمريكية - يتيح لها انشاء قوات التحالف الدولي، ثم يفضي الأمر إلى تنفيذ السيناريو الخاص بخرافة أسلحة الدمار الشامل العراقية والذي أسفر عن احتلالها وتدميرها دون الحصول على ذرة واحدة من عناصر مكونات أسلحة الدمار.

ومما يزيد الطين بلة أن أسلوب الخداع لم يتوقف على لسان بوش، وبعبارات الإبتزاز راح يدغدغ عواطف مواطنيه محاولا ان يربط بينها وبين الحرب التي اشعل أتونها في مدن بغداد، ففي ذكرى حاث سقوط البرجيين خطب في حشد من أهالي ضحايا الحادث يوم 12 سبتمبر2006 قائلا:

"إن مستقبل الأمن في بلادهم يتعلق الآن بالحرب الدائرة في العراق"

إنه يدمر حضارة الإسلام بحجة تحقيق الأمن والرخاء لبلاده.. الإسلام دائما هو المستهدف في مختلف المعارك التي تشعل أوارها أمريكا، ولكن الحق دائما يرجح كفة الإسلام، ومع تنوع أشكال الحملات التي تشن ضده، فقد أثبت أنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك أسباب منها أنه لو كان جاء للتعبير عن طموحات العرب فقط لجعل منهم السادة ولجعل من خلق الله عبيدا لهم ولكانت له نظرية كنظرية "التلمود" و"بروتوكلات حكماء صهيون" التي تعتبر اليهود شعب الله المختار خاصة وانهم - العرب واليهود - ساميون، وجدهم إبراهيم عليه السلام.

ولا يظن أحد من رجال اليوم وشبابه أن الهجوم على الإسلام والمسلمين كانا شأنا أمريكيا محضا، فعندما نستحضر التاريخ سيزداد احترام المرء لمقدسات الإسلام خاصة عندما نرى المغول - قبل أن يقدسوا الإسلام - غلاظ القلوب مثل عرب الجاهلية.. ينامون ورؤوسهم على أعناق أحصنتهم.. لا يزرعون أرضا، وانما هم في تجوال دائم:

"وهؤلاء المغول لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الأرض.. وأما دياناتهم فأنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحا،

بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه"[1].

كانت هذه أخلاقيات المغول، وهى تكاد تكون صورة مما يلقاه مسلمي اليوم على أيدي الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بعد أن منَّ الله عليهم بهداية الإسلام تحولوا من همج إلى متحضرين، وتحولت بلادهم في الهند إلى حياة التمدن.

"ولم تكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم، فأنشأوا المدارس، وأقاموا المراصد، ولم يبد ملوك المغول حماة للآداب والعلوم وحدها، بل ترى الكثيرين منهم قد حذقوها أيضا"[2].

ونحن إذا حاولنا أن نستعرض صوراً من النكبات التي جرت في حياة المسلمين على مر الدهور والزمان فسنرى الإسلام كيف كان هدفا للطعن والمؤمرات من جانب الصليبيين في الأندلس بعد أن ظل يؤدي رسالته النورانية نحو ثمانية قرون، ومن المعروف أن الحملة بدأت ضده بدعوى الكاردينال "اكسيمنس" سنة 1511م بإحراق الكتب العربية والمصاحف المحفوظة في ميادين ومكتبات غرناطة، ثم تولت محاكم التفتيش الدينية إبادة كل أثر للمسلمين.

ورغم استعمال أدوات القهر والإبادة وطعنات التتار والصلبيين فقد قامت الدولة العثمانية بفتوحاتها في البلقان حتى وصلت الجيوش الإسلامية إلى أسوار فيينا، ثم بدأت خفافيش الظلام المكونة من علمانيون وملاحدة وماسون يخططون للقضاء على دولة الخلافة العثمانية وينسجون حولها المؤمورات، وأهمها:

"مؤامرة "طرابزون" التي أحبط كل مخططاتها "محمد الفاتح" ولما رأي البابا أن حيله لم تفلح في قتال الأتراك أراد أن يدخل محمد الفاتح في النصرانية،

---

1 - المرجع: ابن الأثير (الكامل في التاريخ)

2 - المرجع: جوستاف لوبون (حضارة الهند) ترجمة عادل زعيتر.

فكتب لـه بذلك سنة 1462م ولما لم يفلح استعان بجمهوريـة البندقيـة علـى قتـال الأتـراك، وإذاع نـداء إلـى الحـروب المقدسـة فـي 22من اكتـوبر سـنة 1463م، وباع في سبيل ذلك صكوك الغفران لإغراء المسيحين علـى الحـرب، غيـر أنـه توفي قبل أن ينفذ خطته"[1].

* * *

1 - المرجع: صابر عبد الرحمن طعيمة (الإسلام والثورة الاجتماعية) مكتبة القاهرة الحديثة ط أولى عام 1970 ص478.

المخاضات الأجنبية الكاذبة

في تلك الأوقات كانت روسيا مهتمة بالوصول إلى المياه الدافئة، وبسبب عوامل دينية واقتصادية بلغ اهتمام "بطرس الأكبر 1627 - 1725م" بأن يصل الجيش الروسي إلى القسطنطينية والهند بقدر الإمكان فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم، بناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين"

وفي الفقرة الحادية عشر يقول:

"نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج العثمانيين من أوربا"

أوربا كانت دائمة سباقة في الإعداد وتجهيز الحملات ضد ما يمت للإسلام بِصلة، ومن كانوا ينتصرون للصلبيين في غرناطة واشبيلية، تظهر - بعد ذلك - فيالق من جنسهم في روسيا.

وما يكاد العالم الإسلامي يهنأ بفترة من الدعة والسلام حتى كانت تهب عليه السموم ففي القرن التاسع عشر، استولى الروس على بلاد التركستان الإسلامية، وعلى القوقاز، وشمال إيران، واستعمرت بريطانيا الهند، وتنازلت إيران لروسيا عن جورجيا وأرمنيا سنة 1828م.

وقبيل تلك السنوات اتجهت بوصلة الاستعمار الغربي ناحية العالم العربي، وجهزت فرنسا حملتها العسكرية على مصر سنة 1798م، وكان التدخل باسم المطالبة بالديون التي فتح بابها الخديوي "محمد سعيد" والتي انتهت بامتياز قناة السويس، ثم باحتلال مصر سنة 1882م، كما خضعت الجزائر لفرنسا عام 1830م، وتونس1882، وكان الإنجليز دعموا نفوذهم في السودان الذي أخلاه المصريون

(1884 - 1885) واحتلـت انجلتـرا عـدن ومـا سـمى بالمحميـات سـنة 1839، وكذلك احتلت ايطاليا ليبيا سنة 1911م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تقرر في مؤتمر "سان ريمو" في مايو سنة 1920م الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين والفرنسي على سوريا التي انقسمت إلى سوريا ولبنان، وتقرر إقامة امارة في شرق الأردن تكون خاضعة للإنتداب البريطاني، وبذلك أحكم الاستعمار سيطرته على البلاد العربية.

وبدأت أساليب الاحتلال تمارس أدوارها في ضرب وحدة البلاد، واستقطاب عدد من شرائح المجتمع استعملتهم ليكونوا سواعد في خدمة الاستعمار والتمكين له من طعن وحدة المسلمين والترويج لنشر اللهجات المحلية بهدف القضاء على اللغة العربية ومحاصرة تعاليم الدين الإسلامى في دائرة ضيقة تبعث على التحجر حتى يُنظر اليه بشك واستهجان.

ولكي تكتمل خيوط هذا المخطط جاءت شروط الصلح مع تركيا في مؤتمر "لوران" سنة 1923م المعروفة بشروط "كيرزون" الأربعة دليلا على نوايا الإستعمار السيئة ضد الإسلام والمسلمين، وهى:

1- قطع كل صلة بالإسلام.
2- إلغاء الخلافة الإسلامية.
3- اخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد.
4- اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

إن محاولة تفريغ حضارة عالمية من مضامنيها التي يؤسس الإسلام عليها أركانه تبلورت فكرتها وأخذت شكلها العملي حين ساعدت فكرة "مسئولية الرجل الأبيض" في تبرير إمحاء الآخر ونفيه بعيدا عن بلاده، والغاء دستور البلاد المؤسس على مبادي الإسلام.

وعلى الرغم من إضطهاد الإسلام والمسلمين في دول الغرب، فإن الانبعاث الإسلامي يشق طريقه بين صفوف الشباب منذ سبعينات القرن الماضي، إنهم يعودون بطاقة علمية تؤكد حاجة المجتمع إلى بناء المؤسسات الإسلامية المدعومة بآليات التحديث، وكان لذلك اثره القوي على الأنظمة العربية والإسلامية:

"ففي السبعينات والثمانينيات اندفع القادة السياسيون في تحديد هوية نظمهم و هوياتهم الشخصية بالإسلام، الملك حسين عاهل الأردن، وقد أدرك أن الحكومات العلمانية ليس لها سوى مستقبل طفيف في العالم العربي، تحدث عن الحاجة لخلق "ديموقراطية اسلامية" و"تحديث الإسلام" الملك الحسن عاهل المغرب أكد تحدّر سلالته من الرسول ودوره "كأمير للمؤمنين". وسلطان بروني الذي لم يعرف في السابق تمسكه بالدين، أصبح "بشكل متزايد مكرسا" للدين الإسلامي، وحدد نظامه بأنه "ملكية مالية اسلامية"، بن علي في تونس بدأ بشكل معتاد يدخل اسم الله في خطبه و"لفَّ نفسه في العباءة الإسلامية ليكبح الإقبال المتزايد على الجماعات الإسلاموية"[1].

---

1 - المرجع: نقلا من صموئيل هتنغتون "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي" ترجمة. د. مالك عبيد أبو شهيوة ود. محمود محمد خلف. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط أولى 1999ص224و225.

أما تركيا فقد تنامت المشاعر الإسلامية بين الشباب ولكن القوى البيروقراطية وجماعة العسكر ذات التوجهات العلمانية قامت بشطب أسماء من طلاب الأكاديمية العسكرية بسبب الشك في أن لهم ميولا إسلامية، وفي الثمانينيات دعم القادة الأتراك صلتهم العسكرية بالكيان الصهيوني، ولكن حركة "الطريقة" الإسلامية التي كان كمال أتاتورك جمّد نشاطها، وحزب"الرفاه" الأصولي لا يزالان يلعبان دورا بارزا بين صفوف الشباب والمجتمع المدني.

ويلاحظ أنه منذ ظهور العسكريين المحليين في منتصف القرن الماضي والحركات الإسلامية تتسع دوائرها وعيون الرصد بين الجماهير تقمع خطواتها في نفس الوقت، وكأن هؤلاء يتفقون ضمنيا مع وجهة النظر الأمريكية الداعية إلى محاربة ما تطلق عليه اسم الإرهاب.

ومن الأمور المثيرة للأحتقان والإنفجار معا أن الشرق عندما بدأ يفيق من سباته ويستعد عافيته وتتحرر بعض أقطاره من التبعية، وبدأ ينشد النمو الاجتماعي الذي يعتمد في الأساس على ثلاثة مصادر أساسية تكمن في تراكم رأس المال البشري والمادي وكفاءة تخصيص الموارد بين قطاعات الإقتصاد القومي وتحسين الانتاجية، فوجئ بقوي الغرب تتكالب عليه، وقد تملكه الذعر عندما رأى الشرق يسعى لتصويب خطواته، وتظهر في أبنائه أجيال من العلماء والمتفوقين: ما الذي سيكون عليه وجه العالم عندما يمتلك الشرق قوته في المجال الثقافي والفنون؟:

"ومإذا يحدث عندما يصبح الشرق ندا للغرب في مجال العلوم.. أي عندما يمتلك رجال من خارج الغرب تكونوا في ثقافات وديانات بعيدة عن مفهوم الغرب لمسئولية الانسان أمام التاريخ في نهاية الأمر؟.. مإذا

يحــدث عنــدما يمتلــك مثــل هــؤلاء الرجــال مــن تــراث مغــاير لعلمنــا وتكنولوجيتنــا (أي للغـرب).. مـإذا يحـدث فـي اليـوم الـذي تمتلـك فيـه الصـين القنبلة أو مصر"[1]".

يشـهد الحــال بـأن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة يمكـن أن تغفـر وتخفـض البصـر إذا امتلكـت الصـين القنبلـة الذريـة، انمـا تحصـل عليهـا دولــة مسلمة مثل مصر وإيران فإن الغرب يعتبر أن مسمارا دُق في نعشه.

ولكــن لمــاذا يســود هــذا التشــاؤم الغــرب؟.. ربمــا لأن تراثــه الأســود عنـدما يعيـد النظـر فيـه يـرى فصـوله مفعمـة بجـرائم الاسـتعمار مـن سـحل وقتـل ونهـب ثـروات الشـرق.. مـن ثـم لا يـرى المحللـون والاسـتراتيجيون فــي حكومــة بــوش ســوى تصــعيد الحمــلات العســكرية ضــد إيــران، وقــد أجــاب الــرئيس الإيرانــي نجــادي بقولــه: "أن جــورج بــوش لــن يســتطيع أن يجبرنـا علـى وقـف برنـامج الطاقـة النوويـة"، ويـرد علـى ذلـك راسـمو خطـط الحــرب فــي "البنتــاجون" بســؤال آخــر: هــل يقتصــر الأمــر علــى مجــرد ضــربة عســكرية عــن بعــد لمنشــآت إيــران النوويــة فــي أكثــر مــن أربعــين موقعا؟.

وتعقب كوندا ليزا ريس على الدمار الذي الحقته اسرائيل بلبنـان قائلـة: "إنـه مخاض مؤلم لشرق أوسط جديد"

ان تجاهلها للمقاومة لا يخفي عن العالم النجاحات التي حققها حزب الله فـي بسالة لا نظير لها:

---

1 - المرجع: د. أنور عبد الملك (نيدهام: رحلة الغرب إلى الشرق) مقال، جريدة الأهرام 29يونيو 1999.

"إن انتصار المقاومة فرض معادلة جديد لتوازن القوى تلعب فيها الشعوب أدوارا محددة قادرة على قلب الموازين، وتحقيق الانتصارات"[1].

ولكن بوش يصر على الكذب حين يدعي أن جيشه انتصر في العراق وأن جيش اسرائيل انتصر في لبنان، وادعى أنه "تم الآن ولادة الديمقراطيات الفتية في بغداد وبيروت".

بينما النتيجة الخالصة تؤكد فشل المشروع الأمريكي في العراق.. الديموقراطية المزعومة اغتيلت بالدليل أنه لا صوت الآن في بغداد يعلو على أصوات مذابح الحرب الطائفية.

وفي ضوء اختلاف الغرب في تحديد مفهوم "الشرق" فانه لم يحدث خلاف حول اعتبار الشرق بسكانه هدفا للتجزئة في مخاض قاتل بملامح "المقاومة" الجديدة والمتهمة من قبل الميديا الأمريكية والصهيونية بالذيول التابعة لإيران.

هذه الإتهامات تستهدف القطيعة بين "السنة" و"الشيعة"، ولكن المناضلين على الأرض يدركون أهمية هذه العلاقات المشروعة في سياق حركة النضال من أجل عودة الحقوق العربية، فقضية العرب والمسلمين تحتاج لحلفاء من شتى الطوائف حتى لو كانت لهم مرجعياتهم الأديولوجية.

المهم وحدة المسلمين وعودة فلسطين. وكفانا ما يجري للسنة والشيعة من هلاك ترسم خطوطه العريضة الولايات المتحدة، ولعل الجميع يدركون فحوى تصريحاها خلال الأسبوع الأخير من تصدي المقاومة اللبنانية للجيش الصهيوني فقد رأت في تقويمها للمعارك أن الخسائر الاسرائلية في جنوب لبنان سيوفر دعما معنويا وخبرة قتالية هائلة "يمكن أن تضر بمصالح الأمريكيين أنفسهم في أية معارك محتملة".

---

1 - المرجع: د. محمد السعيد ادريس (انتصار المقاومة وتوازن القوى الإقليمي) جريدة الأهرام 23أغسطس2006.

القصد إذن عدواني والنية مبيتة على إشعال الحرائق في شتى أنحاء منطقة الشرق الأوسط.. فهل أخذت أمريكا في حساباتها ما يمكن أن تحدثه ردود الأفعال المحتملة من جانب الجمهورية الإسلامية في طهران؟

إن لدى إيران صورايخ باليستية تستطيع أن تصل إلى ربيبة أمريكا المدللة في تل أبيب، ويمكن أن تصل أيضا إلى دول في جنوب أوربا وتنتصر على 130الف جندي أمريكي متواجدين على أرض العراق.

بالنسبة لحزب الله، فقد رصدت أمريكا حصيلة معاركه مع اسرائيل، وأكدت أنه أطلق 3997صاروخا على شمال اسرائيل، أوقعت 38قتيلا مدنيا من بينهم 18قتيلا من فلسطيني عام1948، كما سقط في شمال اسرائيل نحو 5000جريح، وأثناء اندلاع القتال أعلن المستوطنون عن رغبتهم في أن تقصف قواتهم المفاعل النووي الإيراني، وأحمد نجادي رئيس إيران يرى أن من حق بلاده أن تملك الذرة وان أسلوب العصا والتهديد بفرض عقوبات عليها لن يثنيها عن موقفها، والولايات المتحدة بدافع الأنانية والرغبة في السيطرة وعدم الرغبة في أن توسع دولة مسلمة افاقها وتحدِّث بالتكنولوجيا أوضاعها الاجتماعية حتى تلحق بركب الحضارة.

هناك قصة تصلح لأن نسوقها في هذا الصدد، وقد وردت في "فهرست العلوم" وهي تتصل بعالم الطبيعة والكمياء "محمد بن زكريا الرازي850 - 925" وفيها أن عالما صينيا جاء إلى بغداد واتصل بالرازي ومكث في داره سنة يتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد دهش الرازي حين تبين أن العالم الصيني استعمل الاختزال، وهى طريقة لم تكن منتشرة آنذاك، وترجم عن طريقها اعمال الطبيب "جالين" في 16مجلدا.

إن القصـة تكشـف بجـلاء أوضـاع المسلمين عنـدما بلغـوا أوج الحضـارة الإنسـانية إذ لـم يخفوا مـا فـي عقولهم عن العـالمين، ولـم يبخلوا بعلـومهم، ولـم يسـتعملوها إلا كقـوة فـي انتشـار روح التـآخي والـتلاقح الفكـري، الأمـر الـذي يكشف مغالطات "هنتنغتون" في أن حضارة الغرب - وحدها - هى المؤثرة فـي كافة الحضارات، وعلى الرغم من ذلك فإن المؤشرات تؤكد أن المـآذن سيظل اسم الله يرتفع من فوقها، وإن مستقبل الشعوب رهن بتقدم الإسلام.

* * *

تكثيف التحريات ضد من يحمل اسم محمد.. مصطفى.. أحمد

قبل الدخول في تفاصيل حملة "بنديكتوس" السادس عشر، بابا روما المسيئة للإسلام، ولكي لا تعشي بصائرنا، ولا نحصل سوى على شق الجيوب ولطم الخدود كمؤشر عام لردود الأفعال الخارجية "فتزل قدم بعد ثبوتها" وتضيع من أقدامنا الطريق، فنفقد الحقيقة، ولا نعرف من أرّث النار في الهشيم، بدءاً بقرع أجراس العداء للدين الإسلامي، مع فتح الأبواب للفيف من الكتاب والفنانين في الغرب ممن تميزت كتاباتهم عن غيرها بأسلوب التطاول والزراية بكل ما هو مقدس ويمت للمسلمين بصلة.

انطلقت شرارة الكراهية في السنوات الأخيرة من فم الرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" عقب وقوع حادث البرجين، ولقد اعتاد العرب منه وطاقم حكومته، تصعيد الحملات المسعورة ضدهم، وتسميتهم بأسماء من نوع: "الخنازير".. "الشياطين".. "النازيون الجدد".. "الفاشستيون".

كانت مهمة هذا الخطاب الأمريكي أن يؤسس قاعدة اجتماعية تعيش على معدلات وتيرة الهلع، وإغراق الشارع بصور من مخططات الإرهاب المزعومة، والإدعاءات بأن الإرهابيين لديهم الخطط الجاهزة والمبتكرة، وبما يتجاوز نسق نسف مركز التجارة العالمية في نيويورك.

والزعم بأن القصد من وراء ذلك هوالإطاحة بمظاهر الحضارة الغربية، وتدمير المكاسب الفردية، وحقيقة نجح الرئيس بوش في توجهاته - داخليا - وحملاته الإعلامية أصبحت في حجم شحنات القلق اليومي، والتنقل من مكان لآخر تحت سيطرة التوتر والخوف على الحياة دفع الشعب للتسليم بكل ما تمليه الحكومة،والانصياع لأي قانون طاريء يقيد حرية الفرد، ويهيئ الوضع العام

للتجاوب مع بلورة منطق التفويض للسلطة باتخاذ أي قرار حتى لو كان على حساب حرية المواطنين سياسيا واجتماعيا، مادام ذلك سيتحول إلى درع تدرأ به الحكومة خطر الإرهاب القادم من الشرق العربي الإسلامي.

من ثم. أصبح حادث البرجيين نقطة الإرتكاز، أو النقطة الرئيسية التي تتمحور حولها سياسة الرئيس "جورج بوش" - داخليا وخارجيا - وقد تصدى لزيفها رئيس دولة ليس من القطاع العربي والإسلامي.. إنه الزعيم الفنزويلي "هوجو شافيز" الذي يعتبر أن ارتفاع نسبة الغبار المثار نتيجة لأعمال البلطجة الأمريكية يواري خلف أستاره كما من الحقائق الغائبة في سماء الولايات المتحدة الأمريكية.

قال "هوجو شافيز" بفصاحة يحسد عليها:

" إنه يشتبه في أن الإدارة الأمريكية خططت لإعتداءات 11سبتمبر على برجي مركز التجارة العالمي لتبرير الحرب على الإرهاب"

واضاف شافيز:

"إن القوة الإمبريالية نفسها هى التي خططت ونفذت هذه الإعتداءات ضد شعبها ومواطني العالم أجمع"

من الذي أصبح لا يشك في ذلك الأمر حتى وإن كانت بعض الجماعات الإسلامية المناوءة للسياسة الأمريكية قد ادعت بدافع البطولة الحمقاء أنها هى التي قامت بتنفيذ حادث البرجيين؟.. ومن الأهمية - في هذا الصدد - لفت الأنظار إلى أن أحدث استطلاعات الرأى أظهرت أن 42% من الأمريكيين يرون أن أن حكومتهم "تخفي شيئاما" عما حدث في ذلك اليوم.

وبمنطق لولبي مطاط استطاعت أن تلعب الدور بحماس ملك عليها كل ذرة من كيانها لدرجة انها باتت تصدق نفسها أنها كانت الضحية، وهى التي ظلت

تعتبر نفسها العطاء الإلهي والمسؤلة عن تخليص العالم من الشيطان القابع فيه.

أنها لم تفقد بعد العينين اللتين يمكنها أن ترى بهما أنها ملهمة الحضارات الكبرى.. بذات العينين ترى أن "العالم المسيحي" هو "العالم الغربي" وان المسيحية الأرذوذكسية" مستبعدة من صفحات التراث والحضارة، إلى جانب وقوفها بإصرار في عداء غريزي للإسلام.

يعيدنا هذا سريعا إلى بداية ونشأة الولايات المتحدة الأمريكية منذ 500سنة تقريبا، ثم ظهورها كدولة حديثة كانت ترعى العدل والحرية على أثر خروجها من عباءة الاستعمار البريطاني، وحينما كانت تدير شؤونها الداخلية على ممارسة الحكمة المستخلصة من الإلهام الإنساني في بكارته وصفائه.

في أحضان الثراء المادي والثقافي اتيح لها صياغة الأوضاع الداخلية - نفسيا وماديا - على قاعدة إطلاق حرية المبادرات الفردية، وبلا قيود، ثم بعد ذلك استطاعت يدها أن تصل إلى قلب العالم الخارجي وتتدخل في بناء أسسه بمواد من القوانين المنسوجة على منوال المصالح "الدولةالأمريكية".

حدث ذلك عندما طرحت على رؤساء الشرق الأوسط "مشروع الشرق الأوسط الكبير" المرشحة لزعامته كل من إسرائيل وتركيا، في الوقت الذي يلقي فيه المسلمون في أمريكا وبريطانيا من أساليب الحرب النفسية والمادية مالا يتحمله بشر.

من ذلك على سبيل المثال ما قررته في عنصرية فجة شركة "ويسترن يونيون" المالية الأمريكية، إذ قامت بتجميد حسابات جميع من يتعاملون معها من المسلمين والعرب، وفي سابقة لا نظير لها وضعت من يجرون تحويلات من خلالها ويسمون بأسماءالنبي الكريم (محمد.. مصطفى.. أحمد) تحت الملاحظة والتحريات إلى أن يثبت العكس وأنهم بعيدون عن الشبهات،

واوضحت الشركة من خلال بيان قالت فيه إن ذلك جاء بناء على تعليمات تلقتها من الإدارة الأمريكية من أجل محاصرة وتجفيف منابع الدعم المالي الذي تتلقاه الجماعات الإرهابية.

"وتشير بيانات صندوق البنك الدولي إلى أن الودائع الأجنبية في البنوك الأمريكية تبلغ نحو 2500مليار دولار، وأن اجمالي حقوق الأجانب في الولايات المتحدة يبلغ 12ألف مليار دولار موزعة بين الاستثمارات المباشرة والعقارات والاستثمارات في الأسهم والسندات والودائع المصرية، وتملك الدول والمستثمرون العرب حصة كبيرة من هذه الودائع والأصول الأجنبية في الولايات المتحدة.

وتؤكد بعض التقديرات إلى أن أكثر من نصف الاستثمارات العربية المباشرة وغير المباشرة والمصرفية، العائدة للحكومات والمستثمرين من البدان العربية موجودة في الولايات المتحدة الأمريكية.

والحقيقة أن الإجراء المالي الذي اتخذته شركة "ويسترن نيون" هو تجسيد لتصاعد النزاعات العنصرية التي تصل إلى حد الفاشية في أمريكا"[1]".

ومن وجهة اخرى فإن مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضايا العرب والمسلمين جعل أفكارها تناطح رؤوسنا وتصبح محل شك وتساؤلات لدى غير الغربيين خاصة منها ما يتعلق بالثقافات والأديان "حوار الحضارات" تلك الفكرة التي يروج لهاالغرب، ثم ينطحها بقرون ثور، ويعارضها بأديولوجية تمضي في اتجاه "صدام الحضارات".

---

1 - المرجع: بتصرف، أحمد السيد النجار (لماذا نصمت عن التمييز العنصري والديني ضدنا اقتصاديا) مقال جريدة الأهرام، الاثنين 28أغسطس2006.

بينما واقع الحياة يؤكد أن الحضارات لا يصارع بعضها بعضا كما يدعي "هنتغنتون"، وإنما لا شأن لها بما يدور على مسرح الحياة، وتشير المقاربات الموضوعية والدلائل الواقعية:

"إلى أن الحضارات لا تتصارع أو تتحاور، بل أن الناس هم الذين يتصارعون ويتحاورون لأسباب لا تتعلق بالمصالح في المقام الأول، وأن مواقفهم لا تنبع من معطياتهم الحضارية والثقافية بقدر ما تنبع من مواقعهم في البناء الإجتماعي القومي أو العابر للقوميات بفعل العولمة"[1].

المفارقة في هذا الصدد أن الأمرين "الحوار" و"الصراع" مصدرهما الغرب معا، فكيف يمكن تحقيق الخير للإنسانية في ظل هذا التناقض؟، ولعلنا لا ننسى دور الإعلام المتسم بالكراهية والناشط في خلق أجيال لا ترى في العربي والمسلم سوى حشرة يتعين على الجميع أن يتولوا سحقها بالأقدام.

ويأتي الرئيس بوش ليسكب الزيت على النار، وتتسع دوائر العداء للتقاليد الإسلامية وابراز صورها في شكل متخلف، فالحجاب بات محرما، وذبح الخراف على الطريقة الإسلامية يعد شكلا همجيا، أما حب الإنجاب فليس أكثر من عادة جاهلية لازمت الكثيرين بعد دخولهم الإسلام. وما كدنا نتنفس الصعداء بعد مرور حملة الصور الدنماركية المسيئة لرسول الله ﷺ وتمنينا على الله أن تكون هذه آخر الأعمال اللآمسؤلة في حياة الغرب، ولكنه مضى في تيه مقررا أن انجازاته العلمية والثقافية تعطيه الحق في إملاء الشروط على الآخر حسبما تقتضيه مصالحه، وعلى هذه الطريق يرتدي اللآهوتي والسياسي قفاز واحدا ما دامت الأمور تصب في نهاية المطاف في خدمة المسيحية "الغربية" التي تقصي المسيحية "الشرقية" بعيدا عن أفقها.

---

1 - المرجع: سمير مرقص، الآخر.. الحوار.. المواطنة، سلسلة العلوم الاجتماعية، مكتبة الأسرة 2006،ص79.

"حيث أنه منذ القرن السادس عشر يميل الميزان الحضاري إلى جهة الغرب (أو ما اصطلح على تسميته بالمركزية الغربية)، ومن ثم استطاع أن يفرض الصدام تارة، أو يدعو للحوار تارة أخرى، أو أن نجد الأمرين معا، كذلك يميل الميزان في داخل الغرب ذاته إلى أنصار الصدام أكثر من الحوار"[1].

وتبلورت نظرية الحروب الوطنية "الداخلية" والحروب الخارجية حتى أقر الغرب بأن الحروب تعكس حالة من الإضطراب في الأنظمة السياسية والاجتماعية، ومن أجل معالجة هذه الأوضاع اتجهت الأفكار لتطوير القانون الدولي وفرضه من جانب المحاكم حسب النمط المعمول به في الديموقراطيات الغربية، والتي أنشئت على مواده الأمم المتحدة والمحاكم الدولية.

وهكذا أصبحت أشكال العالم تتغير، وبتغير المعايير والموازين والقيم أخذ العالم يمضي عبر لحظة في التاريخ لا تجعل ما نحن مقبلون عليه مماثلا في شيء للظروف التي عاشها الأسلاف في الماضي.

ويتطلب هذا تطوير مواقع الجدل في مجال العلاقات بين الثقافات الكبرى في عالمنا.. بين الثقافة الإسلامية والأرووأمريكية والأسبانوفية، والأسيوية والأفريقية.

ومن الأهمية الا تتوقف الجهود عند هذه القضايا، بل لعلها تأخذ في الإعتبار معالجة التناقضات الثقافية على مستوى الوطن العربي، وكذلك تناقضاتنا الثقافية على مستوى علاقاتنا الدولية، وأن تصب كل هذه الجهود في بناء قوتنا الذاتية، مدنية، عسكرية، فالموعظة الحسنة والمجادلة الحميدة بدون قوة ستعرضنا دائما لعدم احترام الآخر، وقد تجلى ذلك في موقف الأسقف "راتر

1 - المرجع: المصدر السابق ص80.

نجر" الذي أصبح الحبر الأعظم ويحمل اسم "بنديكتوس السادس عشر" بابا روما الحالي.

ما كاد بعضنا يظن أن الصور المسيئة الدنماركية بركان خمدت نيرانه حتى فوجيء العالم العربي والإسلامي ببابا روما يلقي محاضرة أمام طلاب جامعة ريجنسبورج ويهاجم فيها سيدنا محمد ﷺ زاعما أنه لم يأت الابكل ما هو شرير.

في يوم الثلاثاء 2006/9/12 زعم البابا في محاضرته أن العنف يمارس في الإسلام باسم الدين.

من هنا فان الأمة العربية والإسلامية أصبحت تواجه تحديين رئيسيين، التحدي الداخلي والتحدي الخارجي، ويتمثل التحدي الداخلي في اضطراب الأمن الثقافي والإقتصادي والتفاوت المريع بين أبناء الوطن الواحد، أما التحدي الخارجي فلا شك أن الجميع يلمسونه في محاولة جرنا إلى مناطق النفوذ الغربية وإلغاء هويتنا والنيل من حياة رسولنا ﷺ وديننا الحنيف.

المحاضرة التي تحدث فيها بابا روما عن العنف في الإسلام، وأشار بأن الإسلام يختلف عن الديانة المسيحية المشبعة بالفلسفة الإغريقية، وكان اهتمامه بالغا بالعقيدة المسيحية التي تقوم على المنطق بينما تقوم عقيدة الإسلام على أساس أن ارادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل.

"أيجوز لعقل بشري مخلوق أن يحاكم الخالق؟! "

أخفى بنديكتوس السادس عشر وجهه وراء نص قديم يعود إلى العصر البيزنطي ليسدد من خلاله الطعنات في صدر الإسلام، قائلا:

"إن محمدا لم يأت الا بما هو سيئ، وغير إنساني، وأنه أمر بنشر الإسلام بحد السيف" وإذا كان نقد الأديان والقديسين أمر لا يثير الحنق والإستياء في تقاليد الحياة الغربية، سواء في مجال البحث الديني والاجتماعي، أو في محاور

الجدل العام، فإن هذه الأمور لا تعالج في الإسلام إلا من بـاب تلقـي الفيوضـات الروحية من الأعلى للأدني.

أما حين يحاول بابا الفاتيكان السعي للكونية وانتشار المسيحية جغرافيا على حساب الإسلام، فلا أحد يحول دون توسيع حاضـرته، وإنمـا لـيس مـن حقـه أن يسيئ إلـى ديانـة غيره، ثم أليس مـن المثير للشك أن بنديكتوس منذ أن تـولى منصب البابوية لم يوجه رسالة حب واحدة للمسلمين؟

لقد تفرغ وقتـا طـويلا للحديث عن الإرث الروحـي الـذي يـربط المسيحين باليهود، وفي إحدى رسائله وجه التحية والإحترام إلـى مـن وصـفهم بــ "الأخـوة فـي الشـعب اليهـودي الـذين يربطنـا بهـم إرثـا روحيـا مشتركا تمتـد جـذوره إلـى وعود الله الأبدية"

وفور جلوسه علـى كرسـي البابويـة أرسـل رسـالة إلـى حاخـام رومـا الأكبـر "ريكاردو دي سينبي" يقول فيها:

"مـع بدايـة حبرتـي، أطالـب مسـاعدة الله العلـي أن يسـتمر الحـوار ويتعـزز التعـاون مـع أبنـاء وبنـات الشـعب اليهـودي.. فليـرأف الـرب بنـا ويباركنـا، وليُشّع علينا بوجهه النيـر"

هذا كلام فيه لطف ومودة، لكننا إذا عرفنـا أنـه جـاء كـرد فعل علـى خلفيـة نشأة الأسقف "راتر نجر".. حاليا "بنديكتوس السادس عشر" بابـا رومـا، فسيبطل العجب، وقد يغفر البعض لـه، وقد يدين الكثيرين موقفه.

والمسألة من بدايتها لكي نبسطها بوضوح أن لدى اليهود ملفات لكل رئـيس غربي ولكل بابا جلس على عرش الفاتيكان.

بالنسبة للبابا "بنـديكتوس" البـابغ مـن العمـر 78عامـا، ومـن واقـع ملفـه الـذي لدى اليهود، نعرف مـنهم أنـه فـي سـن الخامسـة عشـرة كـان عضـوا فـي منظمـة

الشبيبة النازية التي أسسها "أدولف هتلر" وقبيل اعتلائه كرسي البابوية، وعندما تأكدوا من انه سيعتليه، بادروا بشن الحملات ضده والتلويح بانتماءاته أيام الشباب فبادر لكي يأمن جانبهم باعتذار عن مرحلة المراهقة وما فيها من أفكار مضللة.

ومالا شك فيه أن اليهود تلقوا تصريحاته التي يهاجم فيها الرسول الكريم والإسلام بفرح دفعهم لنشرها في الصحف على ملايين القراء.

وتعليقا على ذلك كتب الحاخام يسرائيل روزون في صحيفة "يعدوت أحرونوت" تحت عنوان: "لقد صدق بندكت بابا الفاتيكان عندما قال إن الإسلام دين يدعو ويدعم العنف، ونحن نعلم أن كل من يتحفظون على تصريحات البابا من سياسيين وأكاديميين ورجال دين مسيحي يخشون في الواقع من انتقام سيف الإسلام، ومن إلقاء مواد مشتعلة على الحريق"

ويضيف الحاخام يسرائيل روزون:

"من وجهة نظرنا من السهل أن يتجاهل العالم الغربي الخريطة الحقيقية، وان يعتبر أن الإرهاب الإسلامي مجرد رد فعل على "احتلال اسرائيلي" ومقاومة لوجود اسرائيل وسط بحر من السكان المسلمين.

سندفع ثمنا باهظا لإنكار صدق تصريحات بابا الفاتيكان، حيث سيقتنع العالم الحر أننا سبب الإرهاب وليس الدين الإسلامي الذي يتطلع لتحقيق هدف الآية التي تقول "دين محمد بالسيف".

في نهاية المقال يدعو الحاخام يسرائيل مثقفي العالم وحاخامات اليهود والساعيين لتحقيق الديموقراطية للإنضمام لإعلان البابا، وفي ذات الوقت يخيفهم من المارد الإيراني الذي خرج من قمقمه، كما يذكرهم بالعفريت

الأفغاني/الباكستاني الذي يترقب دوره "في حين تتزايد قوة عفريت حماس، ولن يقف سيف الإسلام عند مزارع شبعا"

عقب انتهاء البابا من محاضرته التي هاجم فيها الإسلام امتلأت الصحف الإسرائيلية بمئات الرسائل التي يشيد فيها القراء بموقف البابا ويناصرونه في ما ذهب اليه، وأسبغوا على حبرته عبارات مثل: البابا ملك جاء من الجنة لكي يحذرنا من السرطان الإسلامي الذي يتفشى في أنحاء الكرة الأرضية.

واجتمع بعض القراء على قول واحد:

"يجب على قادة اليسار الإسرائيلي الذين يرفعون شعارات الإعتدال أن يذهبوا للحصول على دورات تدريبية ضد المسلمين والعرب في الفاتيكان"

وقال آخرون:

"العرب مصدر العنف في العالم"

على الصعيد العربي والإسلامي هبت الجماهير منددة بأقوال البابا "بنديكتوس"، لكنه حاول ايهام الجميع والتمويه عليهم بالتراجع في ثعبانية مدعيا بأن المسلمين أساؤوا فهم كلامه، وقال وهو يخفي تبرمه: لا أحد منهم استطاع أن يفهم قصدي.

للمرة الثانية يلحق بالمسلمين الخطأ، المرة الأولى عندما تهجم على الإسلام وسيدنا محمد ﷺ والثانية عندما عبر بما يفيد أنهم لا يفهمون قصده.

اعتبر العرب والمسلمون أن ذلك يعد هجوما علنيا وليس اعتذارا.. رئيس الاتحادالعالمي لعلماء المسلمين د. يوسف القرضاوي رفض أقوال البابا، اعتبر أن كلامه لا يعبر عن الأسف والإعتذار، ولكنه اتهام للمسلمين بعدم القدرة على الفهم.

وعاد البابا لا ليعتذر مع حذف الكلمات التي تضمنت هجومه على الإسلام من مضبطة الجامعة كطلب من الشيخ محمد طنطاوي مفتي الديار المصرية، ولكن ليعبر مرة أخرى عن "حزنه الشديد" لأن تصريحاته فهمت بشكل خاطئ" وغير مطابق لنواياه في العالم الإسلامي.

ونتساءل: أبعد كل الذي جرى توجد هناك "نوايا" أخرى لنيافته لم يفصح عنها في وضوح؟!

تعليقا على ما جرى طالب الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" بعدم الخلط بين الإسلام و بين التطرف، وأضاف:

"يجب تجنب أي خلط بين الإسلام وهو دين محترم، ويستحق بالطبع الإحترام وبين الإسلام المتطرف وهو شيء مختلف تماما وتيار ذو طبيعة سياسية"

سفارة الفاتيكان في القاهرة وزعت يوم الأثنين 18سبتمبر2006 نص خطاب البابا الذي لم يعلن فيه عن أسفه بل استخدمه للتمويه في التراجع عن خطابه في جامعة ريجنسبورج، وجاء نص الخطاب كالتالي:

"أيها الأخوة والأخوات الأعزاء، شكلت الزيارة الرعوية التي قمت بها في الأيام الأخيرة إلى بافاريا "جنوب ألمانيا" تجربة روحية قوية ترابطت خلالها الذكريات الشخصية المتصلة بأماكن معهودة لدي بتطلعات رعوية تهدف إلى إعلان فعال للإنجيل في يومنا الحاضر.

أحمد الله للتعزية الداخلية التي أعطى لي أن أعيشها كما أعبر في الوقت ذاته عن عرفاني لكل من أسهم فعليا في إنجاح زيارتي الراعوية هذه، وكما جرت العادة سوف اتحدث عنها بإسهاب أثناء المقابلة العامة يوم الأربعاء المقبل، أما الان، فأود فقط أن أضيف أنني أشعر بمرارة شديدة لردود الفعل

التي سببها مقتطف قصير من خطابي في جامعة ريجنسبورج حيث اعتبر مسيئا لمشاعر المؤمنين المسلمين فيما كان استشهادا بنص من القرون الوسطى، لا يعبر بأي شكل من الأشكال عن فكري الشخصي.

لقد أدلى أمين سر حاضره الفاتيكان يوم البارحة بتصريح بهذا الصدد، وأوضح فيه المعنى الحقيقي لكلامي، آمل أن يؤدي ذلك إلى تهدئة الخواطر وإلى ايضاح المعني الحقيقي لخطابي الذي كان بمجمله ولا يزال دعوة إلى الحوار الصريح والصادق في إطار الإحترام المتبادل"

لو كان البابا بنديكتوس طالع نص الوثيقة المجمعية الصادرة في حاضرة الفاتيكان سنة1965 لوفر على نفسه تجشم الخوض في قضايا قال فيها السلف كلمة صدق.

ونص الوثيقة كما يلي:

"(في عصرنا)" تنظر الكنيسة بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم الكلي القدرة، خالق السماء والأرض المكلم البشر، فهم يجتهدون أن يخضعوا بكل ذاتهم حتى لأوامر الله الخفية، مثلما خضع له ابراهيم الذي يسند اليه بطيبة خاطر الايمان الإسلامي، ورغم أنهم لا يعترفون بيسوع كإله، فإنهم يجعلونه كنبي ويكرمون أمه العذراء مريم، ويدعونها أحيانا بالتقوى، وعلاوة على ذلك هم ينظرون يوم الدين عندما يكافئ الله كل البشر القائمين من الموت، وهكذا هم يقدرون الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة لله لا سيما بالصلاة والصدقة والصوم"

يبدو - والله أعلم - أن الكرادلة أخفوا عن البابا نص الوثيقة السابقة، وقد يكون السبب وراء ذلك النظام السياسي المعقد في الفاتيكان، فالبابا هو رأس الدولة التي تقع على بعد عدة مئات من الأمتار عن نهر تيبر، ويبلغ مجمل طول

حدودها مع ايطاليا 2. 2كم وهى تشكل أصغر دولـة في العالم حيث لا يزيد عدد سكانها على ألف نسمة ينحدرون من العنصرين الايطالي والسويسري.

ونظرة على دولـة الفاتيكان وصغر حجمها نجدها تحكم مليار شخص موزعين على شتى بقاع العالم، وليس في الفاتيكان سلطة أعلى من سلطة البابا وهو الذي يستطيع تعديل القوانين والتشريعات، ويعين، ويعزل من يشاء، ويختار بنفسه الطاقم الإداري لمساعدته على القيام بادارة الدولة كل خمس سنوات.

وفي خضم الغضب الذي اعترى نفوس المسلمين بسبب محاضرة البابا المسيئة، يعتبر "البير يغو" مدير معهد العلوم الدينية في جامعة بولونيا أن بابا روما أبدى أسفه وتراجع عن أقواله عبر وزير خارجيته:

"أنني أشعر بمرارة شديدة لردود الفعل التي سببتها فقرة قصيرة من خطابي في جامعة ريجنسبورج، حيث أُعتبرت مسيئة لمشاعر المؤمنين المسلمين، بينما كانت استشهادا "بنص من القرون الوسطى، لا يعبر بأي شكل من الأشكال عن فكري الشخصي"

غير أن ذلك لم يرح النفوس وأصدر أعضاء نادي هيئة تدريس جامعة الأزهر بيانا يوم الإثنين18سبتمبر2006 أدانوا فيه بشدة تصريحات بابا الفاتيكان، وأوضح البيان:

"كان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ينشدون الخير والعدل والمحبة، بينما كانت المجامع المسكونية التابعة للبابوية تمارس سياستها في حرق الكتب وتمارس سياسة العقاب الجماعي بكل الوسائل التي يتجاوزها العقل والمنطق، بينما كان المسلمون يجوبون العالم من الصين شرقا حتى الأندلس غربا يحملون الخير والمحبة كانت الكنيسة تمارس صكوك الغفران التي زيفت

عقل البسطاء من الأوربيين، وكانت البابوية تُجيش الجيوش لإحراق المخالفين من البروتستانت في المانيا وفرنسا وانجلترا".

وطالب البيان أن يعيد البابا بنديكتوس قراءة التاريخ الإنساني ليعلم أن الحضارة الأوربية الحديثة قامت على ما نقله الأوربيون من ثقافة وفكر المسلمين.

يحاول البابا تديين السياسة وتوثيق عرى التفاهم مع مخططات جورج بوش التوسعية، ويتساءل البعض: ألم يكن أمام البابا صفحات مضيئة في تاريخ الإسلام يمكن الإستدلال بها عن روح المحبة التي تزرع الوئام بدلا من الإفتراءات والشقاق؟

كل الذي كان يهتم به في محاضرته المسيئة أن يبرز في الحوار الردئ الذي دار بين عالم فارسي مسلم والأمبرطور البيزنطي "مانويل الثاني" في حقبة من التاريخ كانت فيها الأمبراطورية البيزنطية تنهار تحت أقدام الجيش التركي بعد عام1391م ووصوله نهر الدانوب.

ويرجع الخبراء والمحللون السياسون استخدام البابا حوار مانويل مع الرجل الفارسي ليشير بطريقة غير مباشرة إلى الرئيس الإيراني أحمدي نجاد حيث أرسل عدة خطابات إلى كل من الرئيس بوش والمستشارة الألمانية انجيلا ميركل داعيا إلى الأخذ بلغة الحوار ولكن رؤساء الغرب - على ما يبدو - خافوا من الإقتراب منها بل ووصفوها بالمتعجرفة.

ثم يعودون إلى تسمية الجهاد في الإسلام - الذي هو من اجل نصرة قضايا الحق - بالإرهاب، ويتناسون أن استعمارهم بلاد المسلمين كان بمثابة الموجات الكارثية.

وفي خضم اشتعال مشاعر الغضب والثورة ضد حديث بابا روما المسيئ للإسلام إذ بموجة رسوم الكاريكاتير المسيئة للنبي "صلوات الله عليه وسلم" تعود للظهور مرة أخرى في الدنمارك على أيدي شباب حزب الشعب الدنماركي اليميني المتطرف.

ولا تتوقف العجلة الشريرة عن الدوران، وفيما يعكف راسمو خرائط ومصائر العالم على مخططاتهم بشأن منطقة الشرق الأوسط، فإن ردود الأفعال تختلف من بلد إلى آخر، البعض يرفض التذويب وإمحاء الهوية، والبعض الآخر يباركون كل خطوة جديدة تنقذ المنطقة من التدهور.

قد يعود ذلك التخبط إلى أننا نفتقر حتى الآن لبناء ستراتيجية إعلامية مشتركة تتبنى إلقاء الضوء علىأنوار الإسلام، وما قدمه "رسول الله ﷺ للبشرية من خير وهدى، إلى جانب تبني ثقافة المقاومة، ولا بد أن تتغير نظرة ذلك الفريق الذي يرى مقاومة النشاط الصهيوني حاليا مهمة يختص بها القوميون العرب والإسلاميون فقط.

آخر المستجدات في واقع عجلة الحياة:

- إيران ترفض الحوافز الغربية.
- إيران تصر على تخصيب اليورانيوم.
- يوم 9 أكتوبر2006 فجرت كوريا الشمالية أولى تجاربها النووية بنجاح وأصبحت تعد رسميا العدد التاسع في نادي الكبار النووي.
- في يوم 14أكتوبر 2006 أصدرت الأمم المتحدة قرارا بالإجماع بتوقيع العقوبات الإقتصادية والعسكرية والمالية على كوريا الشمالية.
- علق وزير خارجية كوريا الشمالية على هذا القرار بأنه إعلان حرب.

- تحاول أمريكا الوقيعة بين كوريا الشمالية والصين، وفي ذات الوقت تسعى لإقامة جبهة متحدة - تخوض الحرب ضد كوريا الشمالية - من الصين واليابان وكوريا الجنوبية.
- ولا يزال الأمريكيون في العراق والخليج العربي وأفغانستان، وإسرائيل لا تزال محتفظة بالجولان ومزارع شبعا... والعجلة مستمرة في الدوران.

* * *

الفهـرس

* * *

صــدر للمؤلف

- إسرائيل من الشتات إلى الاستعمار (مكتبة الإيمان بالمنصورة).
- صعود وهبوط الإمبراطورية الأمريكية (مكتبة الإيمان بالمنصورة).
- أحلام ترانزستور (قصص) سلسلة أدب الجماهير.
- أولاد المنصورة (رواية) سلسلة أصوات أدبية - الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- رحمة والخروج من الخيمة (رواية) الهيئة العامة للكتاب.
- اللعب فـي الحلقة (قصص) الهيئة العامة للكتاب.
- عقد من طرف واحد (قصص) الهيئة العامة للكتاب.

* * *